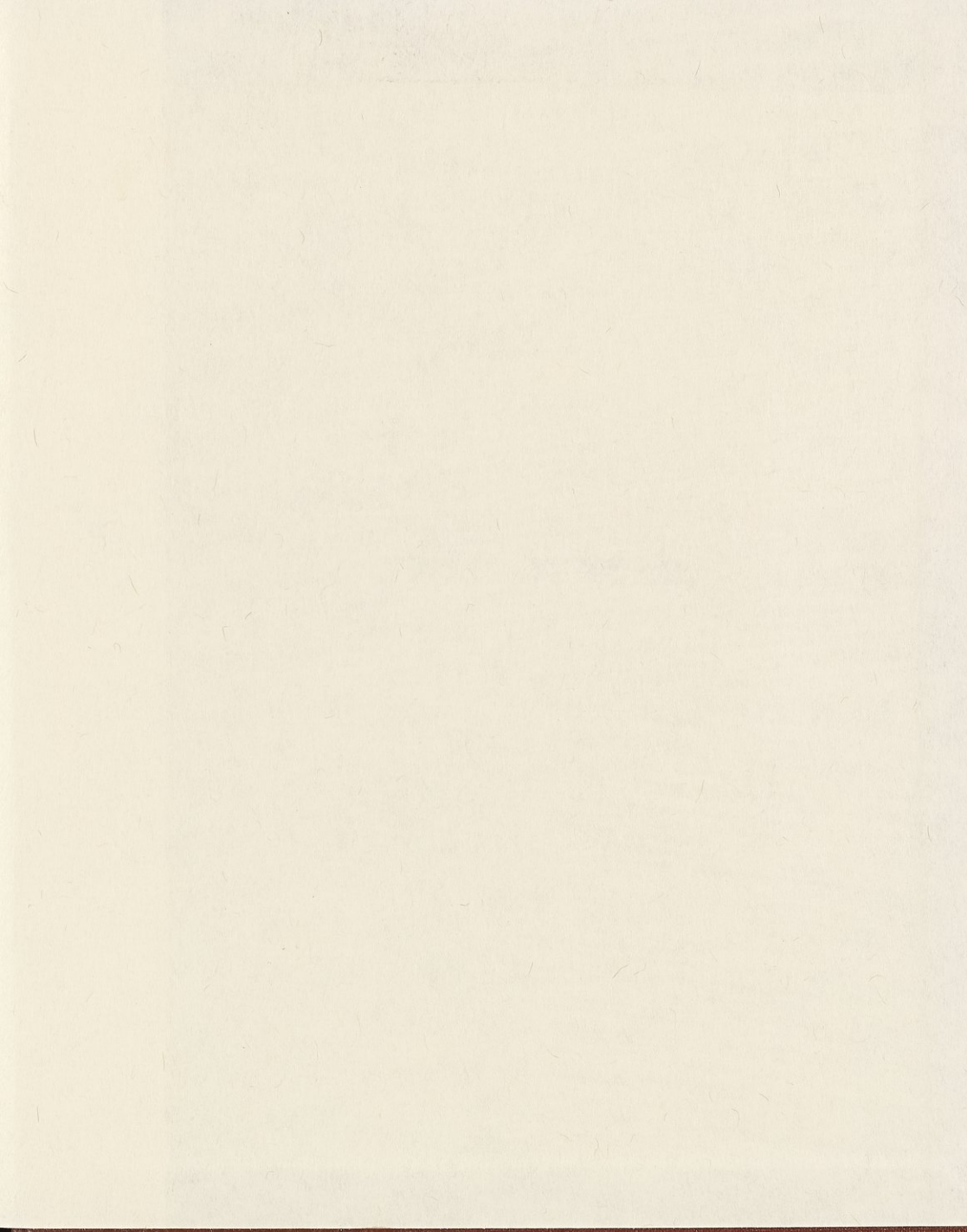




Princeton University Library

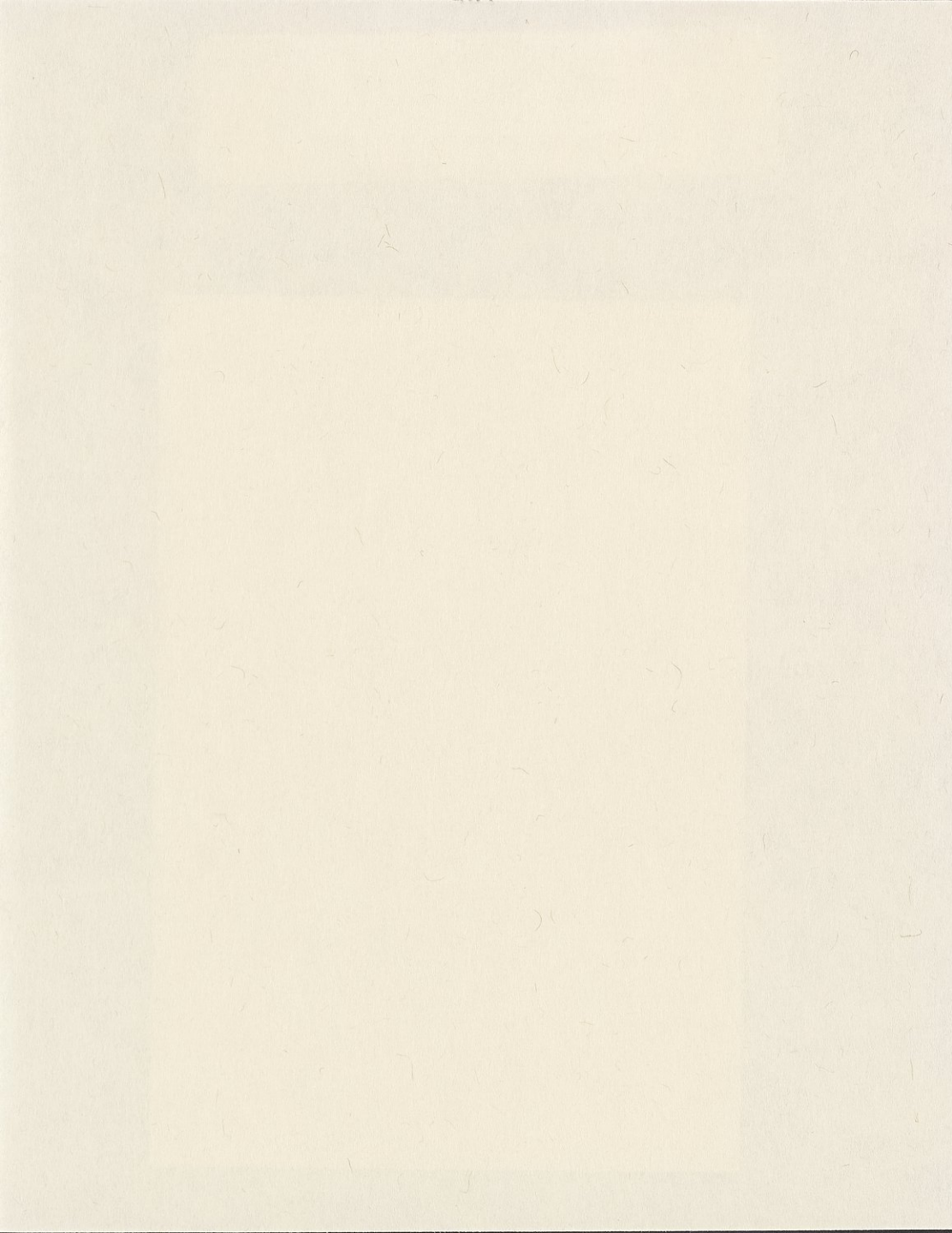


32101 058186733

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*

--	--



مهرنگی دوزی

حياة يوسف

تأليف
Meyer
الدكتور ف. ب. ماير

عربه بتصرف

حافظ داود

يطلب من

مكتبة جمعية المحبة القبطية الأرثوذكسية

بشارع سمعان شبرا مصر

مطبعة الامانة ٥٨ شارع الفجالة بمصر

*** Bind Along This Edge ***

((AECAD))

BS580

J6 M3912



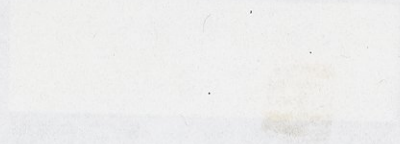
02101 014102055



يوسف الصبي الصغير

M 7 0 8 1 3

11 2 1



6/2/1918

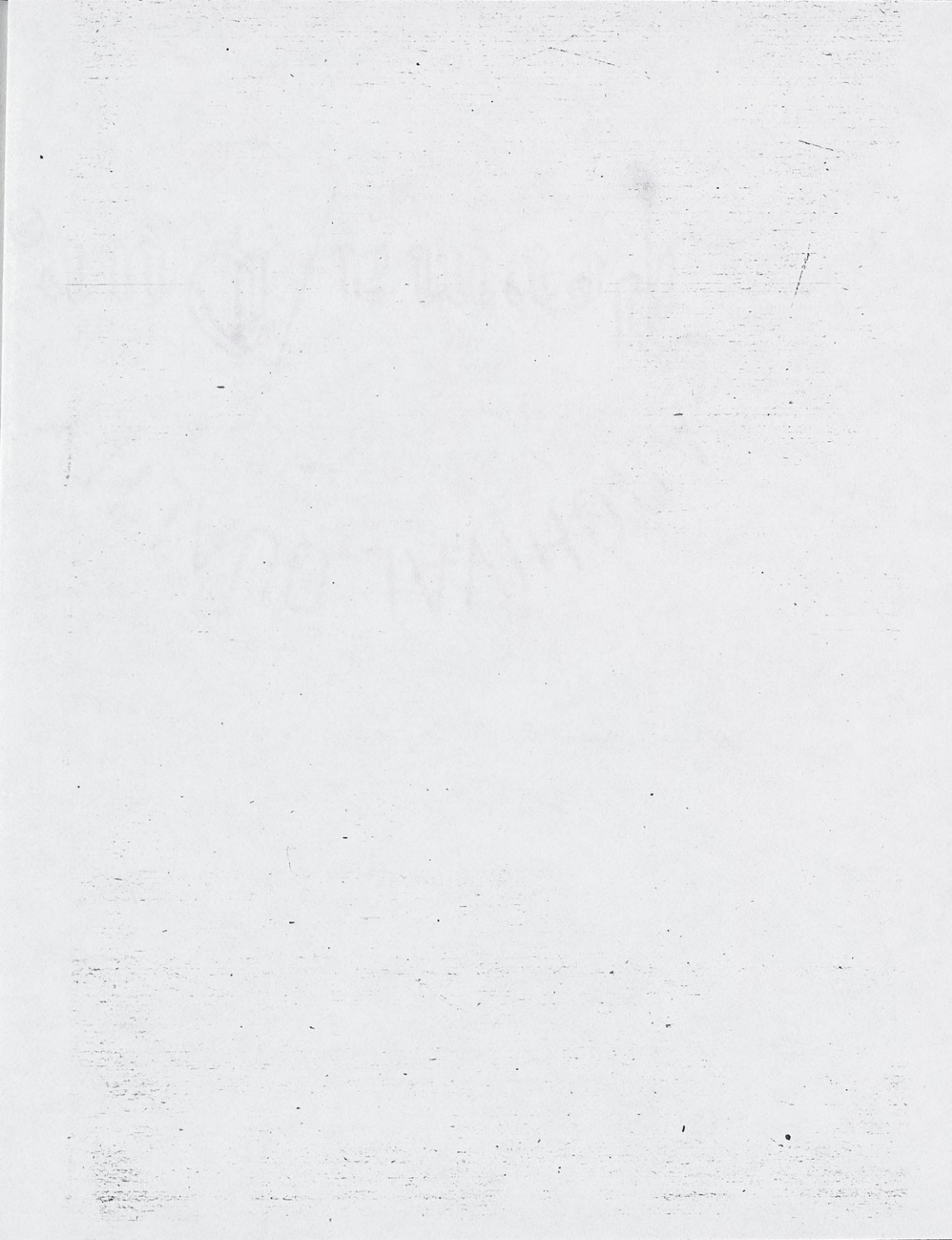
RECEIVED

« وكان الرب مع يوسف فكان رجلاً ناجحاً . ومهما
صنع كان الرب ينجيّه »

« كيف اصنع هذا الشر العظيم وأخطيء الى الله »

« ليس انتم ارسلتموني الى هنا بل الله »

« انتم قصدتم بي شراً اما الله فقصد به خيراً »



مقدمة العرب

مجداً للثالوث الاقدس الآب والابن والروح القدس

دون لنا الكتاب المقدس لمحة بسيطة عن حياة بعض ابطال
العهد القديم والعهد الجديد . ولا شك في أن من ضمن اغراض
الوحي الالهى من تدوين هذه السير أن تكون لنا أنواراً نهتدى بها
وسط ظلمات هذه الحياة

وهذه سيرة احدى تلك الشخصيات البارزة ، حياة يوسف ،
الذى كان من ابرز صفاته الامانة المطلقة ، امانة لوالده في اطاعة
امره مهما كلفته الطاعة من مشقة ثم في البر به في شيخوخته ، امانة
للاخوته في اقتفاء اثرهم لطلب سلامتهم ثم في عدم الانتقام منهم بل
اعالهم هم واولادهم في محنتهم ، امانة لفوطيفار في خدمة بيته وكل
مصالحه ثم في موقفه المشرف مع امرأته ، امانة للمسجونين في خدمتهم
ثم في تفسير احلام البعض منهم ، امانة لفرعون في تفسير احلامه
ثم في ادارة البلاد ادارة حازمة ، امانة للمصريين وكل سكان الارض
في تخزين القمح في سنى الشبع ثم في توزيعه في سنى الجوع ، امانة

لمبادئه السامية ولو كلفته الامانة اعماق السجون ، امانة لاله في
تمسكه به كخادم حقير وكسجين ذليل وكأمير شريف
كان يوسف شاباً في عنفوان القوة وفي شبابه جُرب بأقسى ما
يجرب به الشبان ، ولكنه وقف ثابتاً لا يتزعزع مع توالى التجربة
عليه اياماً . وهو في ذلك يقدم مثالا عالياً للشبان ويقودهم الى
سر الغلبة

شرب يوسف كأس الآلام حتى الثمالة ، وفي كل ادوار حياته
نراه لا يتطرق الشك الى قلبه ولا يقسب الوهن الى عزيمته ولا تدب
عوامل اليأس والفشل في نفسه . وهو في ذلك يقدم مثالا حياً
للمجربين والحزاني لكي يرفعوا عيونهم الى الجبال من حيث
يأتى العون

كانت حياة يوسف خليطاً بين المر والحلو، مرت عليها فترات
ارتفاع كما مرت عليها فترات انخفاض . وفي جميع هذه الظروف
المتناقضة ظل ثابتاً على حال واحدة ؛ ظل متمسكاً بكلمة . وهو في
ذلك يقدم لنا اعظم مثال في الثبات على المبدأ مهما تنكر لنا العالم او
تغير ، ومهما ابكى او اضحك

قالى الشبان الذين احبهم حباً جماً والذين قد أوقفت حياتي
خلعهم ، الى الذين قد مست قلوبهم فيران التجارب والآلام الذين
تعطف عليهم السماء وكل سكان السماء ؛ الى الذين يعبرون بركة هذه

الحياة المليئة بالمرتفعات والمنخفضات اقدم هذا الكتاب متوسلاً الى
التقدير ان يجد فيه كل قارئ تعزية لنفسه وبركة لحياته
واعترافاً بالجميل اقرر هنا شكرى القلبى لتلك الجمعية الفنية
— جمعية المحبة القبطية الارثوذكسية بالقاهرة — التى قد هياها
لنا الرب فى الايام الاخيرة لنشر المؤلفات النافعة والمكتب
النفيسة ، والتى قد اصبحت توفر على المؤلف او العرب ذلك المجهود
الشاق الذى كان عليه ان يبذله فى الطبع والنشر والتوزيع ، والتى
نرجو لها النمو والازدهار . كذلك لا يفوتنى ان اقدم شكرى
الوافر لحضرة الباحث المدقق الاستاذ توفيق اسكاروس الذى
تكرم باعارتنا سفرأ نفيساً اخذنا عنه الصور التى حليناها صفحات
هذا الكتاب م

هافظ داود

٧ أمشير سنة ١٦٥٣

١٤ فبراير سنة ١٩٣٧



الفصل الأول

يوسف في أيامه الأولى

(تك ٣٧)

في بلاد حاران التي قضى فيها يعقوب زهرة شبابه في خدمة خاله لابان ولد يوسف من زوجته المحبوبة راحيل بعد أن تعوقت عن الولادة زمناً طويلاً . ترعرع الصبي مدلاً في أحضان تلك العائلة التي كانت تنتظر ولادته سنوات عدة . ولكنه لم يلبث طويلاً حتى فوجيء بمصيبة — هي أشد ما ينكب به الأولاد والبنات في حداثة سنهم — فقد ماتت أمه راحيل . . . راحيل التي كانت محبوبة من والديها ، محبوبة من زوجها ، محبوبة من الخدم . راحيل التي كانت تحب ابنها يوسف حباً جماً . ماتت راحيل وكان يوسف لا يزال فتى غضاً في العقد الأول من حياته ولا شك أن هذه المصيبة قد أثرت فيه أشد التأثير ، وكأن المصائب آتت إلا أن تكون حليقة له منذ صباه . ولكن أليست حياته وحياة الكثيرين من أولاد الله الذين انتفع العالم من خدماتهم وتضحياتهم

مدينة كلها للمصائب والآلام . إن كان الأمر كذلك فرجباً بالمصائب و « جيد للرجل أن يحمل النير في صباه » (مرأى ٢٧:٣)

نما الصبي يوسف في العقل والحكمة أكثر من نموه في الأيام كما نقل إلينا حكماء اليهود . وفضلاً عن هذا فقد كان نقى القلب يشع نور القداسة من وجهه . لهذا فقد أحبه أبوه محبة خاصة لاسيما وقد كان يرى فيه ذكرى لأمه العزيزة راحيل . يضاف إلى هذا أنه كان ابن شيخوخته « وأما إسرائيل فأحب يوسف أكثر من سائر بنيه لأنه ابن شيخوخته، فصنع له قميصاً ملوناً » تك ٣٧:٣٠

ولو علم إسرائيل أن هذا القميص الملون سيجر على ولده وفلذة كبده كل تلك الآلام والمصائب التي تجرعها والتي نزعت عنه احضانه الابوية فحزت في حشاشة قلبه وأفقدته كل لذة في الحياة وأعدمته بصره وكدرت أيامه — لما كان قد فكر في أن يصنع له هذا القميص .

كان هذا القميص لا يلبسه إلا أولاد الاشراف والملوك والنبلاء ، كان لا يلبسه رجال العمل الذين يجب ان يأكلوا خبزهم بمرق جيئهم . أما اخوته فقد كانوا يلبسون الملابس البسيطة ولهذا فلما رأوه بالقميص ادركوا انه قد كتب لآخيهام الراحة والهناء ولهم التعب والشقاء . « فلما رأى اخوته أن أباهم أحبه

أكثر من جميع إخوته أبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه
بسلام» ع ٤

على أن الأمر لم ينف عند هذا الحد ، بل أن يوسف قد « أتى
بنسبتهم الرديئة إلى أبيهم » ع ٢ . وقد يبدو لنا لأول وهلة أن
هذه صفة ذميمة لأننا قد تعلمنا أن « المحبة تستر كثرة من الخطايا »
ولكن لا بد أنه كانت هنالك ظروف تستدعي أن يوقف يوسف
أباه على كل أخبار إخوته . ان المحبة الصادقة تلزمنا في بعض
الاحيان ان نفصح خطايا اصدقائنا واعزائنا ومن يعيشون معنا
ان كنا لا نفاج في معالجة الامر بأنفسنا . لأننا إن تركناهم
يستمررون في شرورهم فقد يتوغلون فيها حتى يسقطوا في هاوية
لا قرار لها .

وفضلا عن ذلك فالأرجح أن يوسف كان مكلفاً من قبل
والده أن يأتي اليه بأخبارهم

ويوسف بعمله هذا كان غيوراً على شرف العائلة الذي كان
قد سبق فلوثوه بين سكان الأرض (تك ٣٤ : ٣٠) . وكان
غيوراً على مجد الله الذي كان يهدف على اسمه دواماً بأفعالهم
الرديئة . فلذلك يشأ أن يخفى عن أبيه شيئاً من تصرفاتهم
الائيمة .

من أجل ذلك « أبغضوه » ، « لأن كل من يعمل السيئات

يغض النور » (يو ٣: ٢٠) . قال آخاب عن ميخا « لكنى أبغضه
لأنه لا يتنبأ على خيراً بل شراً » (١ مل ٢٢ : ٨) . قال المسيح
لتلاميذه « لا يقدر العالم أن يبغضكم ولكنه يبغضنى أنا لآتى
أشهد عليه أن أعماله شريرة » يو ٧ : ٧ . وهذا هو الحال فى كل
العصور والاجيال . فان كان العالم يحبنا . وبذكرنا بكلمات المديح
والثناء لحق علينا أن نساءل عما إذا كنا ملجأً وسط فساد هذا
العالم وأنواراً وسط ظلماته . لأننا نعلم انه عندما نحيا الحياة الصالحة
المصالحة لا نطبق السكوت على ما نراه حولنا من المظالم
والشرور . وهذا بسبب بغض الكثيرين لنا . قال أحد حكماء
اليونان قديماً « أى شر صنعت حتى يمدحنى جميع الناس » .

على أن هنالك ما سبب ازدياد حقد اخوة يوسف له —
الأحلام التى رآها . كل الشبان يحلمون عن مستقبلهم وعن النجاح
الذى يتوقعونه والمراكز الرفيعة التى تنتظرهم . ولكن كثيراً
ما كانت هذه كلها أضغاث أحلام . أما يوسف فقد كانت أحلامه
إعلاناً من السماء ، وقد كانت تتضمن لارفعته فحسب بل سيادته
على اخوته « فازدادوا أيضاً بغضاً له » ع ٥

وهناك سبب آخر هو اساس كل هذا البغض الذى قام فى
صدورهم : عندما سقط آدم بغواية الحية خاطب الله الحية قائلاً
« وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها » تك ٣: ١٥

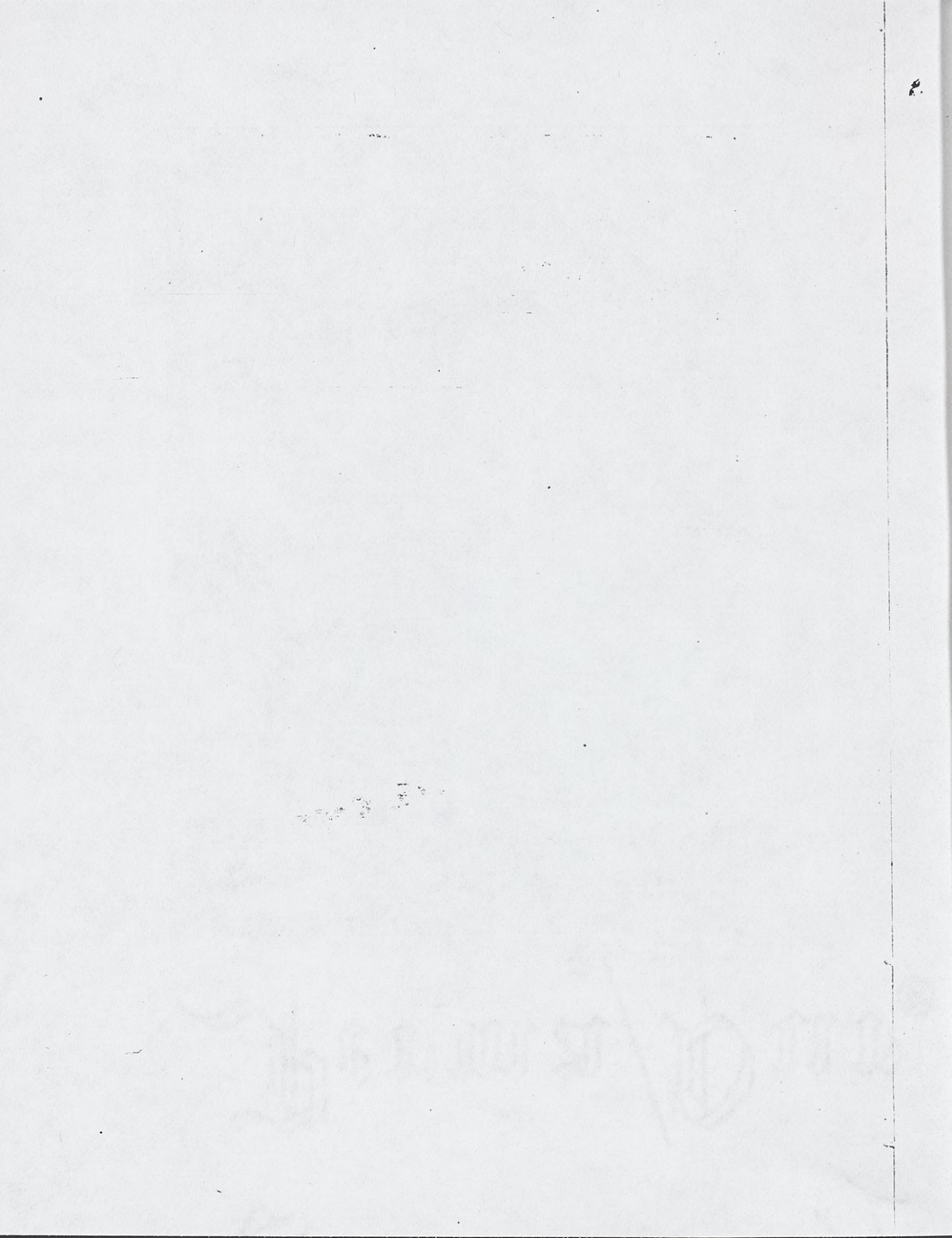
ومنذ ذلك الوقت الى الآن - بل الى نهاية الحياة - قام الصراع بين اولاد الله واولاد الشيطان . فقد قام بين قايين وهابيل ، قام بين الملايين من البشر . وقد مررت المداوة حياة العائلات وخربت البيوت . وهذه هي التي اهابت اخوة يوسف على اخيهم .

ايها القارئ العزيز . هل اختبرت في حياتك ذلك الاختبار المر الذي اختبره يوسف ؟ هل صوبت الايام سهامها المريرة نحو قلبك الطاهر بدون ذنب ولا جريرة ؟ هل مررت الآلام والمظالم نفسك حتى كادت تبتلع من فرط اليأس ؟ تشجع واذا ذكر ان غيرك قد جاز هذا الطريق من قبل . لقد جازه المسيح ايضاً اذ عامله اخوته اليهود بنفس المعاملة . استمر في عمل الخير دون ان ترهب احداً من خصومك . كن رقيقاً رحيماً مساحاً محتملاً . احذر من ان ترد الظلم عن نفسك بنفسك . لا تنتقم لنفسك بل أعط مكاناً للنضب . اقتف نفسك الآثار التي سلكها الخالص لانه قد ترك لنا مثالا لكي نتبع خطواته . انه لم يفعل خطية ولا وجد في فيه مكر . واذا شتم لم يكن يشتم عوضاً . واذا تألم ظلماً وتدواناً لم يذكر مضطهديه حتى يعذل الله بل كان صامتاً كالحمل الوديع ، ولم يهدد بل كان يسلم لمن يقضى يعذل (١ بط ٢ : ٢٢ و ٢٣)

وماذا كانت نتيجة يوسف ؟ صبح ان بنص اعدائه له قد غفد الى قلبه ولكن احلامه قد تحققت حرفياً في الوقت المعين الذي

حل أخيراً بعد انتظار طويل ، كما رفع المسيح الى عرش المجد عن
يمين الله رئيساً ومخلصاً . وانت يا من تتجرع كأس الآلام الآن !
تق باقه لا بد ان يأتى أخيراً ذلك الوقت الذى يظهر الله فيه حتمك
ويرفع عنك احزائك . « اتكل على الرب وافعل الخير ... سلم للرب
طريقك واتكل عليه وهو يجزى . » ويخرج مثل النور برك وحمك
مثل الظهيرة » مز ٣٧ : ٣ — ٩ انتظر الرب واصبر له ... كف
عن الغضب واترك السخط ولا تفر لفعل الشر لان عامل الشر
يقطعون . والذين ينتظرون الرب هم يرثون الارض ...







يوسف في الجب

الفصل الثاني

يوسف في الحب

(تك ٣٧)

ارسالية يوسف

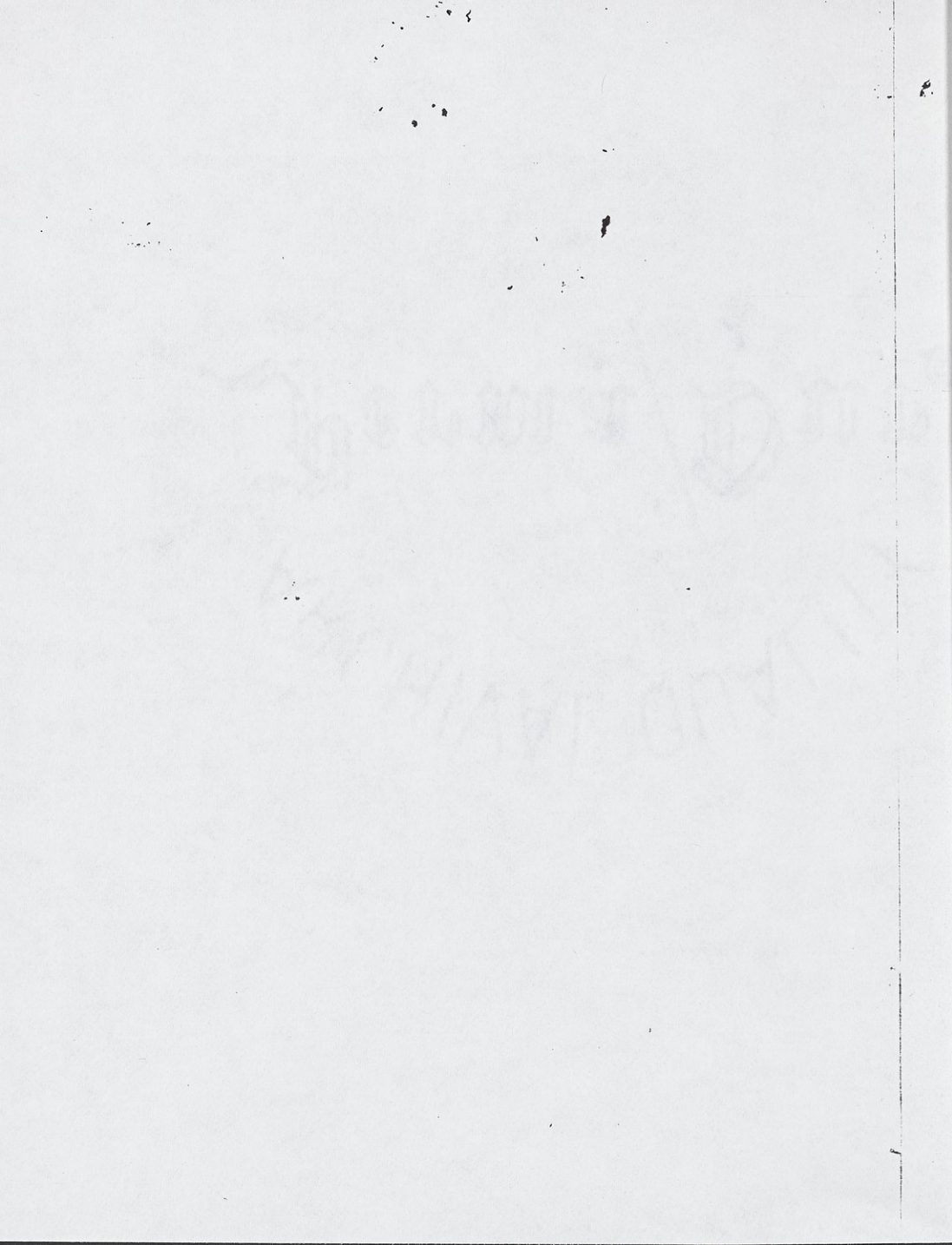
كان يعقوب مقيماً في ذلك الوقت في حبرون التي سكن فيها
ابراهيم واسحق من قبله . ومع ان اراضيها خصبة إلا انها لم تتسع
لكل موئى يعقوب ، لهذا اضطر اولاده لرعاية الغنم فيما جاورها
من الاراضى . وقد ظلوا يتابعون مسيرهم في رعاية الغنم حتى وصلوا
الى ارض شكيم ، وهناك وقعت حزازات بين اهل شكيم وبين
اولاد يعقوب وهذا ما حدا به أن يقول ليوسف ابنه « أليس
اخوتك يرعون عند شكيم » (ع ١٣) ونظراً لانه كانت قد مضت
مدة طويلة انقطعت فيها عنه كل الاخبار عن سلامة اولاده لذلك
اضطر ان يركب الصعب

لم يكن معه في حبرون سوى يوسف وبنيامين اللذين احبهما

الى المنتهى بسبب محبته المفرطة التي كان يحماها في قلبه نحو امهما .
وكان بنيامين صغير السن اما يوسف فكان قد بلغ السابعة عشرة .
فكر يعقوب في إرسال يوسف ليأتيه بأخبار اخوته ولكنه تردد
طويلاً خوفاً على حياته . وأخيراً ... قال له « تعال فارسلك اليهم ...
اذهب انظر سلامة اخوتك ... ورد لي خيراً » (ع ١٣ و ١٤)

لم يتردد يوسف لحظة واحدة في اطاعة امر والده رغم علمه
بالأخطار الكثيرة التي كانت تنتظره — أخطار عدم وجود المياه ،
اخطار اللصوص ، اخطار الوحوش ، اخطار الليالي التي يبيتها
منفرداً في الطريق ، اخطار اخوته الأشرار الذين ابغضوه بشدة .
ولكنه لم يحتسب لشيء ولا حسب نفسه ثمينة عنده اع ٢٠ : ٢٤
بل اجاب على الفور « هانذا » حالما علم إرادة والده . « فأرسله »
على ان يوسف لم يذهب في طلب اخوته لمجرد إطاعته لأمر
ابيه والا لكان قد عاد الى ابيه حالما ادرك انهم قد تركوا شكيم
بأمان وولوا وجوههم نحو مكان آخر . ولكنه طلبهم لأنه احبهم
ولهذا فقد استمر في البحث عنهم حتى وجدهم .

ألا تشير هذه الارسالية الى ارسالية اعظم . ان المسيح لم
يمل من ان يدعو نفسه « مرسلا من الآب » فانه يندر ان تجد
صحيفة من انجيل يوحنا لم يكرر فيها المسيح هذا القول « لم
أت من نفسي لكن الآب ارسلني » . وكم كان يحلو للمسيح ان





هذا قميص ابني

يتردد على بركة « سلوام » (وتفسيرها « مرسل ») لأن اسمها يحمل في طياته تعبيراً لاسمه: وهكذا صارت هذه العبارة مألوقة لكاتبه العهد الجديد « الآب ارسل الابن ليخلص العالم »

لا شك في أن ساعة وداع يوسف لأبيه كانت مرة على نفس يعقوب، وهذه يقدرها تماماً أولئك الذين فقدوا أولادهم الاعزاء. ومن ذا الذي يستطيع ان يصف مقدار ما كلف الآب الذي في السماء عندما أرسل ابنه الوحيد الى العالم. لا شك ان هذه تدل على شدة محبة الله لنا. لهذا يقول « هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد » تأمل في هذه الكلمة « هكذا » اي « بهذا المقدار »

على ان مخلصنا لم يأت الى العالم لمجرد إرساله اليه بل لأنه قد احبه. انه قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك. انه جاء بوجه خاص ليخلص اخوته، خاصته — اليهود. لقد كانت وجهة نظره كما قال يوسف « انا طالب إخوتي ». وهو لم يكتف بطلب المفقود بل ظل يسعى حتى وجده. وهكذا فعل يوسف الذي ظل يبحث عن اخوته حتى وجدهم في دوّثان.

ان مثل الخروف الضال ومثل الدرهم المفقود لا يقلان اهمية عن مثل الابن الضال لاننا نجد في كل منهما ان البحث ظل مستمراً حتى امكن العثور على المفقود. ايها القارئ العزيز! قد يكون المسيح

مستمراً في البحث عنك بالذات وقد تكون انت غير راغب في
البحث عنه او تنقصك الشجاعة لذلك . ولكن تشجع قانه لن
يهدا له بال حتى يجده .

استقبال يوسف

« فلما ابصروه من بعيد قبلما اقترب اليهم احتالوا له
اليमितوه » ع ١٨ ولولا توسلات رأوبين أخيهم الأكبر لكانوا
قد نفذوا مؤامرتهم الشريرة ومثلوا به أشر تمثيل « فكان لما
جاء يوسف الى إخوته انهم خلعوا عن يوسف قميصه القميص الملون
الذي عليه وأخذوه وطرحوه في البئر » ع ٢٣ و ٢٤ . لقد شهدت
الأرض كثيراً من الجرائم التي ارتكبت بين البشر ، ولكن لعلها
لم تشهد جريمة أدل على الوحشية والحطة والجبن والدناءة أكثر من
هذه . فكيف يتصور العقل أن تسعة رجال بالغين يجتمعون معاً
على صبي صغير أعزل — هو أخوهم .

وبعد أن مرت السنون نراهم يقولون بعضهم لبعض
« حقاً اننا مذنبون الى أخينا الذي رأينا ضيقة نفسه لما استرحنا
ولم نسمع » ص ٤٢ : ٢١ تأمل في الصورة التي تقدمها لنا هذه
العبارة . انه ليخيل لنا الآن يوسف في تلك الأيدي القاسية
كحمل وديع بين أنياب وحش مفترس . اننا نتصوره الآن

مجاهد للخلاص من أيديهم تارة بالتوسلات وأخرى بالدموع .
قارة يتوسل اليهم بحق والدم العجوز وأخرى بحق الاخوة .
ولكن كل هذه ذهبت أدراج الرياح

تأمل كيف تنمو بذرة الشر . لقد بدأت بذرة إجرام هؤلاء
الاخوة عندما بدأوا يحسدون أخاهم . فلو أنهم تغلبوا على تلك
الخطية في بدايتها لكانوا قد استراحوا من شرورها وبلاياها التي
جرتها في أذيالها . ولكنهم مع الأسف الشديد سمحوا لهذه
الجرثومة أن ترعى في صدورهم « والشهوة إذا حبلت تلد خطية
والخطية إذا كملت تنتج موتاً » . فاحرص كل الحرس من أن
تدع جرثومة واحدة للخطية تملك على قلبك لأن في ذلك خطراً
مخمئاً . تصرف نحو هذه الجرثومة كما تصرف نحو جرثومة الحمى
التي تدخل بيتك في بداية الأمر . وحالما تشعر بالخطية أطلب
تطهير قلبك بدم المسيح

لاحظ بأن الخطية التي لم تغفر تكون مصدر عذاب مستمر
للضمير . لقد توالى السنون ولكنها لم تستطع أن تمسح من
ذاكرتهم تلك النظرة وتلك الصرخات وذلك المنظر الذي شهدهوه
في دوئان . ولا شك في أنهم حاولوا مراراً أن يطرحوا تلك
الجريمة في بحار النسيان ولكنها كثيراً ما كانت تباغتهم حتى في
أشد ساعات العمل ازدحاماً . ولا مشاحة في أن والدم الشيخ

الذى حزن على ابنه باعتبار أنه قد مات ، كان أسعد حالا منهم هم الذين كانوا يعلمون أنه حي . وهكذا ترى أن جريمة واحدة قد تظلم الدنيا طول الحياة . بظن البعض أن رحمة الله تتف حائلا دون قصاص البشر ولكنه قد خلق العالم على أن تكون الخطيئة هي نفس جزئها العادل . وكل من قد تقتل كاهله بخطيئة لم تغفر تتمثل أمامه دواما تلك الديدان التي لا تموت والنار التي لا تطفأ .

على أن أحزان يوسف كانت رمزاً لأحزان المسيح . « جاء إلى خضته وخصته لم تقبله » لأنهم قتلوا « هذا هو الوارث هلموا انقلبه وناخذ ميراثه » مت ٢١ : ٣٨ وبعد ذلك أمسكوه وقتلوه واقتسموا ثيابه بينهم . لقد باعوه للأمم ثم جلسوا يرقبونه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة . أن أحزان يوسف تذكرنا بتلك الأحزان والآلام التي انتهت فوق هامة السيد قبيل الصليب . كما أن براءة يوسف تذكرنا ببراءة ذلك الحمل الذي بلا عيب والذي شهدت بكلمة الأعداء قبل الأحياء حتى ساعة الصليب ، فقد أضر أحد الأعداء أن يعترف قائلاً « انى لست أجده في هذا الإنسان »

على أن وجه الشبه بين يوسف والمسيح لا يستمر الى النهاية بل يقف عند حد . فان آلام يوسف وقفت عندما وصات به الى حافة الموت أما المسيح فقد ذق كأس الموت . كانت آلام يوسف شخصية أما آلام المسيح فقد كانت كفارية لانه « مات عنا »

THE UNIVERSITY OF CHICAGO

LIBRARY



وباعده للاسماعيليين بعشرين من النضية

ولأنه « أسلم نفسه لأجلنا ». لم يكن في آلام يوسف قوة التكفير
عن خطية مضطريده ، أما آلام المسيح فلم تكن فيها قوة التكفير
عن خطية قائله فقط بل عن خطية الجميع « وهو كفارة لخطايانا
ليس خطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً » ١ يو ٢ : ٢

مصير يوسف

« ثم جلسوا ليأكلوا طعاماً » ع ٢٥ جلسوا ليتناولوا غذاءهم
كما دأبهم بقلوب قد قدت من حديد كأنه لم يحدث حادث يسترعى
إهتمامهم ويشغل بالهم . وفي هذه الانثناء مرت بهم إحدى قوافل
العرب في طريقها إلى مصر . وفي الحال تطورت أفكار هؤلاء
المتأمرين فتشاوروا في أمر بيعه حيث اعتادت تلك القوافل شراء
جنى العبرانيين وبيعهم أرقاء في مصر التي يكثر فيها هذا الطلب .
وقد استراحوا لهذه الفكرة التي قدمها اليهم يهوذا لأنهم رأوها
أحسن وسيلة للتخلص من يوسف وفي نفس الوقت للتخلص من
تلك الجريمة الشنيعة جريمة قتل أخيهم . وعملاً بهذه المشورة
« اصعدوه من البئر وابعوه للأسماعيليين بعشرين من الفضة »
(نحو ثلاثة جنيهات) لأنه لم يكن المال هو المهم في نظرهم .

وهكذا رأى يوسف نفسه موثقاً وفي طريقه إلى الاستعباد في
أرض غريبة . ألم يكن هذا أشد إيلاماً على نفسه من الموت . يالها

من الآم مبرحة قد مرقت قلب ذلك الشاب الغض . فلا شك في أنه كان متلهفاً ليرسل كلمته الأخيرة لأبيه . ثم انه في نفس الوقت قد تكون بعض الأفكار جالت بخاطره من نحو الله القادر على كل شيء انكلى المحبة الذى تعود أن يعبدته وكيف سمح أن يجوز عبده الأثمين في هذه المظالم . لاشك انه في ذلك اليوم الرهيب لم تكن عيناه مفتوحتين ليدرك ان هذا اليوم المظلم كان حلقة ذهبية في سلسلة عناية الله ومحبته ، او ليدرك بأنه سيأتى اليوم الذى فيه يستطيع ان يخاطب اخوته قائلاً « لا تتأسفوا ولا تفتنظوا لانه لاستبقاء حياة قد ارسلنى الله قدامكم »

كم هو حلو جداً للنفس - عندما تمر أيام الحياة - أن يستطيع المرء أن ينظر الى تلك الحوادث المظلمة والحوادث الغامضة ويتلمس فيها يد الله بعد أن كان لا يرى فيها سوى خبث الانسان وقسوته . ولا شك انه سيأتى اليوم الذى فيه نستطيع أن نتحدث هكذا عن كل صحائف الحياة السوداء التى مرت بنا فى الحياة .

لقد خان يوسف إخوته وكذلك الحال مع المسيح الذى خان صاحبه ، لقد بيع يوسف بدرهمات معدودات وكذلك بيع المسيح . لقد بيع يوسف كعبد وأحصى المسيح مع الاثمة ، لقد قصد إخوة يوسف به شراً ولكن الله صنع به خيراً وهكذا كانت الايدي

الأئمة التي صلبت رب المجد تقصد اهلاكه ولكن موته كان حياة
للعالم وبذلك تمت مشورة الله المحتومة وعلمه السابق
ان الله يستطيع ان يجعل غضب الانسان يحمد به وبقيته
الغضب يتنطق بها من ١٠: ٧٦ « بالعمق غنى الله وحكمته
وعلمه . ما ابعد احكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء »
رو ١١: ٣٣



الفصل الثالث

في بيت فوطيفار

(تكوين ٣٩)

لما بيع يوسف إلى المديانيين أتوا به إلى مصر وهناك في أحد
أسواق العبيد عرضوا سلعتهم . وقد كانت تلك الأسواق خاصة
بالعبيد الذين كان يؤتى بهم من الممالك المجاورة وخاصة من أواسط
وجنوب أفريقيا

وقد كان نصيب تلك السلعة من حظ فوطيفار رئيس الشرط
الذي كان له سلطان واسع المدى فكان له أن يجني من يشاء ويميت
من يشاء

ولما وجد يوسف نفسه في بيت هذا الرئيس العظيم — ولا
شك أنه كان قصراً منيفاً — أخذ بمظهره ونخامته حيث كان قد
غشا في بيت أبيه المتواضع وما يكتنفه من مظاهر الحياة البسيطة .
على أن الله « كان معه » وقد كان شعوره برفقة الله آياه وحراسته
له باعثاً على تسكين نفسه وحفظها في سلام الله الكامل . وهو إن
كان قد حرم من رؤية كل من درج معهم وعرفهم وأجبتهم نفسه



اما المديانيون فباعوه في مصر لفوطيفار



إلا أنه كان يجد راحة بل قوة عظمى عندما ينظر إلى الأجنحة
الرمزية الكثيرة التي كانت تمتلئ بها أبنية المصريين إذ كانت
تذكره بعناية الله الغير المحدودة التي تبسط أجنحتها لحماية ورعاية كل
أولاده الأئمة . فمن ذا الذي لا يفضل أن يكون يوسف في أرض
مصر مع الله عن أن يكون كأولئك الأخوة الذين ينعمون بالوجود
مع أبيهم وفي بلادهم ، وأيديهم ملوثة بالدماء ونفوسهم مثقلة بالشعور
بالاشتيم ؟

والآن لنأمل في مصير يوسف في بيت فوطيفار
(١) نجاح يوسف : (وكان الرب مع يوسف فكان رجلاً
تاجحاً) ع ٢ كان كل عمل تمتد إليه يده يلاقى أعظم النجاح . لهذا
كان فوطيفار وأهل بيته يعتقدون فيه القدرة على حل كل عقدة
وتذليل كل عقبة والنجاح كل مسمى . وقد كان ذلك يرجع لسبيين : —
اولاً) أنه ولو كان قد جرد من قيصر الملون ولكنه لم يجرد
من أخلاقه وصفاته . فاحرصوا جميعاً أيها الشباب لئلا تجردوا من
أخلاقكم . انكم تستطيعون أن تعوضوا كل شيء إلا أخلاقكم .

كان يوسف مجدداً نشيطاً مطيعاً يوثق به فانه عندما أرسل للبحث
عن أخوته لم يتم وصية والده بالحرف فقط بل بالروح ايضاً ولم
يهدها له بال حتى جد في اثرهم من شكيم الى دوتان . وقد كانت
هذه هي الروح التي طبعت عليها حياته . فكل عمل أعطى له كان

يتمسه على الوجه الاكمل لا لانه امر أو اضطر لاتمامه بل لانه كان يرى أن الله نذبه اليه ليعمله . وكان في كل أعماله اليومية يقرأ إرادة الله ومشيتته الصالحة . كان يحدث نفسه كل يوم بتلك العبارة التي نطق بها فيما بعد : لقد أرسلني الله الى هنا تك ٤٥ : ٥ . كان الاعتقاد الذي يسوده هو أنه يخدم لا فوطيفار بل إله ابراهيم واسحق . كان يعتقد بانه يستطيع أن يحيا في بيت فوطيفار حياة التقوى والأمانة كما كان يقضى تلك الايام الطويلة السعيدة في خيمة يعقوب — وهذا ما فعله تماماً . وهذه الصفات هي التي أ كسبته الضمير الحى والشعور المستيقظ وهذه الصفات هي التي تضمن النجاح في جميع الأعمال

بينما كان العبيد رفقائه يبعثون أوقاتهم، كان هو يشغلها بالامور الحيوية النافعة ؛ وبينما كانوا يقنعون بأن تتم الواجبات المفروضة عليهم؛ كان هو يفتق ذهنه لاتمامها على أحسن حال — الى حد السكال والنجاح ، وبينما كانوا يعملون لائقاء غضب رؤسائهم أو سياطهم، كان هو يعمل لاستجلاب رضاء سيد جميع البشر الذي كان يرى بأن عينيه متطلعتان اليه أبد الدهر

ولا شك في أنهم كثيراً ما كانوا يتفرون فيه بنظرة الحسد ظانين فيه حسن الحظ ؛ ولم يدروا بأن حسن الحظ معناه الاخلاق وأن الاخلاق معناها الله . فان رغبت في تلك الاخلاق التي تضمن

لك النجاح في الحياة ، فليس هنالك أساس آخر لها سوى يسوع المسيح . عليك أن تبني على هذا الأساس وإلا أنهار بناؤك أمام أقل عاصفة . ابن على هذا الأساس حتى يعلو البناء وعندئذ تدرك أن « التقوى نافعة لكل شيء وأن لها موعد الحياة الحاضرة والعيدة »

ثانياً) « أن كل ما يصنع كان الرب ينجحه بيده . . . أن الرب بارك بيت المصرى بسبب يوسف . وكانت بركة الرب على كل ما كان له في البيت وفي الحقل » ع ٣ و ٥٥ . ولم تكن هذه البركة امتيازاً اختص به يوسف دون سواه ولكنها قد وعد بها كل الذين يسمعون سمعاً لصوت الرب الإله ويحرصون للعمل بجميع وصاياه تث ٢٨ : ١ و ٢ . كما أنها قد تكون من نصيبنا نحن أيضاً إن كنا نسير مع الله كما كان يوسف يسير . إننا لا نلتفع شيئاً إن كنا نصرخ مع يعميص قائلين « ليتك تباركني » دون أن نكمل الدعاء معه أيضاً قائلين « وتحفظني من الشر » ١ أي ٤ : ١٠ وعندما تأتي « بركة الرب هي تقوى ولا يزيد معها تعبا » ام ١٠ : ٢٢ . ليكون نصب أعيننا دوماً أننا طالما كنا نعيش فيجب أن يكون الرب معنا « الرب معكم ما كنتم معه . وإن طلبتموه يوجد لكم . وإن تركتموه يترككم » ٢ أي ١٥ : ٢

وقد يطلع على هذه الكلمات بعض الخدام من مختلف

الأنواع - خدمة المنازل أو خدمة المصانع أو مستخدمو الحكومة . وإذا تصادف هذا فانهم لا شك سوف يجدون راحة وتعزية في المثل الأعلى الذى يقدمه اليهم هذا الشاب . فانه لم يستسلم للأحزان والأفكار الكثيرة التى كان من السهل أن تخطر فى باله بسبب المأساة التى ابتليته ، ولكنه منطق ذاته بروح الرجولة الكاملة وقام عن فوره ليتمم عمله الجديد الذى أعطى له .

كان « أميناً فى القليل » فى العمل الحتمير المتواضع الذى نُدب له . وهو قد آمن بأن الله نذبه للعمل الذى بين يديه ووثق بأن ارضاء الله يتوقف على ارضاء سيده الأرضى فى دائرة طاعته لله . وهذه هى الروح التى ينبغى أن تسود علينا فى أمام كل واجباتنا . كان الرسل يقولون للعبيد الذين اعتنقوا المسيحية بفرح وآمنوا بالانجيل الذى منحهم حرية لا تقوى عليها القيود أو السلاسل « اثبتوا كما اتم »

« الدعوة التى دعى فيها كل واحد فليثبت فيها . دعيت وأنت عبد خلا يهملك ... لأن من دعى فى الرب وهو عبد فهو عتيق الرب ... مادعى كل واحد فيه ... فليثبت فى ذلك مع الله » ١ كو ٧: ٢٠ - ٢٤ أطيعوا فى كل شئ ساداتكم حسب الجسد ببساطة القلب خائفين الرب . وكل ما فعلتم فاعملوا من « القلب كما للرب ليس للناس . . . لانكم تخدمون الرب . المسيح ١ كو ٣: ٢٢ - ٢٤ والمسيح - الذى أخذ صورة عبد - تألم

لأجلنا تاركاً لنا مثالا لكي تتبعوا خطواته ١ بط ٢: ٢١
كل هذه الاصوات التي نطق بها الوحي قديماً لا زالت موجهة
لكل للعبيد والخدام . ان أحقر الاعمال يمكن أن تؤدي بأدنى
المبادئ . وانك لتستطيع أن تطأ عتبة مكان عملك الوضع بروح
الاحترام والمحبة التي تدخل بها هيكل الله بل قدس الاقداس في
السماء . لهذا لا يليق بأن نحتقر نصيبنا في الحياة فقد يكون اسمي
مما كنا نتوقع . فليس المهم نوع العمل بل طريقة تأديته : ومقياس
قيمة الحياة وأهميتها يتوقف على الباعث الذي يحركنا في كل أعمالنا .
ان الرجل الوضع قد يحقر أشرف الأعمال بروحه الشريرة ،
أما الرجل النبيل فقد يشرف أوضع الأعمال بنبله وشرفه وقد
تصير موضع إعجاب السرافيم والشاروبيم .

وقد يطلع على هذه الكلمات بعض السادة . نحن لا نستطيع
أن نقدر قيمة الخادم المسيحي الحقيقي ، ولكن سعيد هو البيت
الذي يتشرف بخدمته . ولا شك أن فوطيفار قد أخذه الدهشة
عند ما وجد أن البركة قد حلت في بيته ، فانه قد أصبح وأمسى
واذا به يجد أن جميع شئونه في الحقل وفي البيت قد تقدمت تقدماً
محسوساً بل ماهوساً لم يكن يحلم به من قبل . ولا شك في أنه قد
ساءل نفسه كثيراً عن سبب هذا النجاح كما أنه ربما لم يخطر في باله

فى أول الامر أنه بسبب العبد العبرانى . « ان الرب بارك بيت
المصرى بسبب يوسف » ع ٥ لقد كافأ الرب فوطيفار جزاء
مضاعفًا بسبب اعائه يوسف . وهذا ما لا يزال حاصلًا الى الآن ،
فكم من الاغنياء الغير المسيحيين قد حلت بركة الرب عليهم بسبب
وجود أحد الخدم أو الموظفين المسيحيين فى خدمتهم . عندما
تدخل مقدس الله ونستطيع أن نتبع أصل الاشياء سوف نكتشف
أن الكثير من أعمق البركات التى تمتعنا بها فى حياتنا كانت بسبب
صلاة أو وجود بعض أفراد أعزاء لدى الله كانوا مجهولين جدًا فى
هذه الحياة

(٢) تجربة يوسف . مضت السنون وأصبح يوسف رجلاً
خارجاً وصار وكيلاً على بيت سيده . « فترك كل ما كان له فى يد
يوسف . ولم يكن معه يعرف شيئاً إلا الخبز الذى يأكل » ع ٦
وهنا التقى يوسف بأعظم تجربة فى حياته

قد نجد التجربة فى أيام الرخاء والراحة أكثر مما نجدها فى أيام
الفقر والتعب . نحن لا نجدها فى وقت التعب والجهد أكثر مما
نجدها فى أوقات الراحة والبطالة ، نحن لا نجدها عند ما يعبس لنا
البشر بل عند ما يتسمون لنا ابتسامة التملق والرياء . هنالك ينتظرنا
المحرب ، نخذ حذرنا أيها الاخ العزيز . ان كان لا بد من أن تكون

مسلحاً في كل مكان فضايف سلاحك هناك . « اسهروا وصلوا
لئلا تدخلوا في تجربة . أما الجسد فضعيف »

عند ما تقدم التجربة من الناحية التي لم تكن نتوقعها فعندئذ
يصعب مقاومتها . كانت المرأة المصرية في تلك الايام تتمتع بحرية
واسعة المدى لذا فقد انحطت كثيراً في مستواها الادبي كما تشهد
بذلك الآثار . وقد لا تكون امرأة فوطيفار أشر من سواها من
بنى جنسها ولو أننا نخجل كل الخجل من مجرد قراءة مداعبتها
ليوسف التي بلا شك لا بد أن تكون قد أحدثت هزة عنيفة في
نفسه ورسمت أمام مخيلته كثيراً من المناظر البشعة وذلك مما ضاعف
قوة التجربة على نفسه البريئة . لقد ربت عناية الله بنواميسه الطبيعية
أن يستشعر ربان السفينة بالزوجة قبل هبوبها - في معظم الاحيان -
فيأخذ حذره . ولكن مسكين ذلك الربان ان عصفت عليه
العواصف فجأة . أيها المسيحيون ! احذروا العواصف الفجائية
فكثيراً ما كانت غلطات البشر بسبب الطوارئ سبباً في
تجديد مصيرهم .

كثيراً ما وقفت السياسة والضمير موقفين متضادين امام التجربة

لقد وجد يوسف انه ينبغي ان يقف موقفاً حازماً امام امرأة سيده .
هو كان يعلم ان في ارضائها ضمناً لرفقته وتقدمه ، وان في اغضابها
مجلبة لعداوتها وهدماً لكل آماله . كم من اشخاص لو وقفوا هذا

الموقف لكانوا يقولون لا بأس من التسليم دقيقة واحدة لضمان
مركز عظيم يستغلونه فيما بعد في احسن الخدمات . وهذا معناه ان
التسليم للشيطان مرة واحدة ينيل قوة يمكن استخدامها فيما بعد
لخدمه . هذا هو تعليل السياسة ، وهو أشر مصل في قلب الانسان
هذه هي السياسة التي تقود الكثيرين عندما يجربون من رؤسائهم
أو من اليهم فيقولون « لم تكن لى رغبة فى اتمام هذا الأمر وانما
أنا قد سلمت لأن عيشى كان يتوقف على اتمامه . وأنا لم يكن فى
وسعى أن أغضب ذلك الشخص أو هؤلاء القوم » .

أن السلاح الوحيد ضد السياسة هو الايمان الذى يتطلع الى
المستقبل البعيد ويشق أن سوف يتضح فى النهاية أنه كان خيراً لنا
أن فضل الحق وأن نتنظر إظهار الله للحق وبركته لنا . وحقاً لقد
كان خيراً ليوסף أن لا يصغى لايحاء السياسة ، فلو كان قد فعل
كذلك لكان من المحتمل أن ينال نفوذاً أقوى قليلاً فى بيت
فوطيفار ولكنه لم يكن ممكناً أن يدوم ولما كان ممكناً أبداً أن يصل
إلى منصب رئاسة الوزارة فى مصر أو يكون له بيت مستقل أو
ينال بركة يعقوب لا ولاده قبيل وفاته .

أن قوة التجربة تتوقف على مقدار استعداد طبيعتنا لاجابة
مطالبها . أن يسوع وحده هو الذى لم تنل منه التجربة شيئاً لأنها
لم تجد فيه استعداداً لأطاعة مطالبها . أما نحن فلأن قلوبنا شريرة

فقد وجب علينا أن نكون في غاية الحذر والاحتراس : « فوق كل
تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحيوة » . ليس هنالك خطأ
في أن تكون لنا آميال ورغبات خاصة ولكن الخطر هو في إتمام
هذه الرغبات الى حد الاسراف أو بطريقة خاطئة ، الامر الذي
طالما انسأقت اليه طبيعتنا البشرية لان « المياه المسروقة حلوة »
ام ٩ : ١٧ . ولهذا فقد كانت تجربة يوسف شديدة الوطأة على نفسه
ينبغي أن نفرق بين الغرائز والاميال الطبيعية فينا وبين تلك
التي اكتسبناها بتأثير العادات الشريرة . هذه الاخيرة ينبغي أن
نقتاعها من جذورها أما الاولى فانها تستدعى انتباهاً وحذراً شديداً
منا ، لانها ولو كانت طبيعية وجميلة في حد ذاتها إلا أنها تميل
دائماً الى إتمامها لحد الاسراف أو بالطرق الغير المشروعة . وطالما
كنا في هذه الحياة فينبغي أن لا نتوقع اقتلاع هذه الغرائز والاميال
منا ، وطالما كانت فينا فان قوى الشر تحاول دائماً بذور التجربة
فيها . وأنت لن تجد رجلاً عاقلاً يدعى في نفسه بأنه بعيد عن التجربة
أو عن التسليم للتجربة وهو يعرف أنه ضعيف ومن الضعف خلق
فهو إن كان قد وقف ثابتاً فليس ذاك إلا بنبعة الله

لقد كانت هنالك مغريات خاصة للتجربة في موضوع يوسف
فقد كانت الفرصة سانحة للتجربة « لم يكن إنسان من أهل البيت
هناك في البيت » ع ١١ فلم يكن هنالك خطر من أن تذاع خطيته

كما أنه لم يكن معقولاً أن تفضح تلك المرأة الشريرة نفسها بنفسها
كذلك قد تكررت التجربة « يوماً فيوماً » ع ١٠ ولا شك
أن ذلك زادها قوة . أن نقط المياه إذا توالى على الصخر أذابته ،
والتجربة إذا توالى يوماً بعد يوم كان خطرها عظيماً .

ورغمًا عن كل ذلك فقد ثبت يوسف أمام التجربة . فقد
حكم عقله في الأمر ، قال انه أوّمن فلا يليق بأن يخون الأمانة .
وفوق ذلك فقد حكم ضميره . وقال تلك الكلمات الماثورة التي
كانت سر نصرة الكثيرين من المحربين في كل العصور « كيف
أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ الى الله » ع ٩

لا شيء يستدعى من الكتاب والوعاظ والخطباء مجهوداً
عظيماً أكثر من محاربة خطية النجاسة ، فليس أقدر أو أسرع
منها على افساد القلب وازعاج المواهب واتلاف الجسد . وليس
أقدر ولا أسرع منها على اضرار الممالك والشعوب . وهذا
التاريخ شاهد عدل يحدثنا أن هذه الخطية كانت دائماً سبباً في
خراب الشعوب ، فالامة التي لا تجاهد في سبيل تقويض أركان هذه
الرديلة تهدم نفسها بنفسها .

يظن البعض أن التجارب التي تحيط بالشبان في المدن الكبرى
كالقاهرة والاسكندرية وما اليهما أقوى من أن يستطيعوا الوقوف
أمامها والتغلب عليها . ويظن الآخرون أن هذه الخطية أمر لا

جد منه . أما أنت ايها الحبيب فلا تصنع لهذه السخافات فان طهارة
يوسف تهدم هذه النظريات السفسطية من أساسها . فان كل شاب
يستطيع أن يقاوم ويستطيع ان يتغلب ويستطيع أن يكون طاهراً
عفيفاً وعلى أى حال فعلينا أن نصغى لما يوحيه إلينا الكتاب
المقدس والعقل السليم ، وعلينا أن نتجنب كل الأماكن والكتب
والأشخاص وكل ما ينتج فينا أفكار الشر . احذر بكل ما في
استطاعتك الثمة الاولى ولو كانت بسيطة جداً التي يحاول الشيطان
ان ينفذ منها الى قلبك لئلا يدخل منها الطوفان فيغرق الحياة برمتها
واذكر أنه لا تستطيع أية تجربة التغلب عليك ما لم تجد منك
استعداداً طبيعياً لاجابة رغباتها . وطالما كنت ضعيفاً على أن
تغلق أمامها باب قلبك فسلمه لخلصك التقدير وثق بأن كل قوات
الجحيم لا تستطيع ان تفتح باباً قد سلم للمسيح

« كيف أفعل هذا الشر العظيم » وهذه يليق بأن تكون
شعاراً لنا جميعاً . « كيف أفعل هذا الشر العظيم » كيف أفعله أنا
الذى مات المسيح من أجلى . كيف أفعل هذا الشر الذى كل
ما فيه شر . كيف أفعل هذا الشر العظيم ويا له من جرم عظيم وشر
مستطير . « كيف أخطىء الى الله » يظن البعض بأن هذه الخطية
لا تمس إلا فاعليها ولكن هي فى الواقع موجهة ضد قداسة الله .
قد يتساءل البعض قائلين : « ألم يكن أفضل جداً أن لا يدخل

يوسف بيت سيده في ذلك الوقت وهو يعلم انه قد يعرض الى التجربة ، ولكن من بدرى ؟ فقد يكون محتما عليه الذهاب الى البيت في ذلك الوقت . على انه قد فعل كل ما كان يجب عليه فانه كان يتحاشى الوجود معها على قدر استطاعته ع ١٠ فنحن يجب ان لا نتظر ان يخلصنا الله من التجربة في الوقت الذى ندفع انفسنا لها . ولكن ان اضطررنا الظروف للوجود في الوسط الذى قد نتعرض فيه للتجربة فلنتكل على الله الامين القادر ان ينجى . وان كان الروح يأخذنا الى البرية لتجرب فلنتتظر ان نتمتع بخدمة الملائكة

لقد تصرف يوسف بحكمة اذ هرب . كثيراً ما كان حسن التصرف احكم مظاهر الشجاعة والقوة . خير لك ايها الشاب ان تفقد ثوبك بل وأمن ما تمتلك من ان تفقد ضميرك الحى « اهرب من الشهوات الشبائية » لا تتردد امام التجربة . لا تقرب اليها لئلا تخسر صريعاً امامها . « اهرب لحياتك ، لا تنظر الى ورائك ولا تنف في كل الدائرة » تك ١٩ : ١٧

ليس عليك لوم ان كنت تجرب ، فان القدوس البار الذى بلا خطية قد جرب من الشيطان . ولكن اللوم كل اللوم في ان تخضع للتجربة . فقاوم التجربة في اولها تسترح من اتعابها المستقبلية . ليت الرب يمنحنا النعمة والايمان لنقتدى بمثال يوسف .

وفوق كل شيء بمشال ذاك الذى لم يعرف خطية . ان الله امين
وعادل اذ لا يدعنا نجرب فوق ما نستطيع بل سيجعل مع التجربة
المنفذ ويمنح النعمة للغلبة . « كل من يثبت فيه لا يخطئ وكل من
يخطئ لم يبصره ولا عرفه » ١ يوحنا ٣ : ٦

ولا تنس ايها الحبيب اننا نحن الذين تؤمن بيسوع نجلس
معه عن يمين العظمة وان الله يخضع الشيطان تحت اقدامنا . سلم
قلبك لذاك الذى قد غلب ويستطيع أن يغلب كل قوات العالم
١ يوحنا ٤ : ٤ ، ١٦ : ٣٣ وعندئذ سيعظم انتصارنا بالذى احبنا



الفصل الرابع

سر الطهارة

(تك ٣٩)

(انظر أيضاً أم ٤ : ٢٣ ، ١ بط ١ : ٢٠ ، ١ : ١٢)

لقد تعلم يوسف معنى وبركة طهارة القلب قبل أن ينطق السيد المسيح بالتطويات بمئات السنين ، تلك التي قال في احداها « طوبى للأتقياء القلب »

لا شك في أن أولئك الذين قد مست نعمة الله قلوبهم واستطاعوا أن يحفظوا ثيابهم من دنس العالم ينالون احترام وأعجاب الجميع . يظن عامة الناس أن الطهارة مستحيلة في هذه الحياة ، ولهذا فانهم كلما رأوا شخصاً قد ارتفع الى ذروة الفضيلة والقداسة نظروا اليه نظرة تعجب واندهاش

عندما خلق آدم كان يتمتع بحالة البر والقداسة الكاملة ولم تكن الشهوة تعرف سبيلا الى قلبه . ولكنه عندما سقط تبدل الحال

وفقدت الخطية الى قلبه فاختل التوازن في كل مرافق الحياة . ومنذ ذلك الحين أصبحت غاية الانسان أشباع مطامعه وأهوائه الفاسدة . ويجب أن نذكر أننا بحسب قانون الوراثة قد فسدت أميائنا وأهواؤنا وأصبحنا جميعاً نميل بطبيعتنا للأكل مما نهينا عنه . يجب أن نذكر دواماً أننا أبناء آدم الذي قد تدنست طبيعته . وهذا ما يعبر عنه اللاهوتيون « بالخطية الأصلية » أو كما يعبر عنه الرسول بولس « ناموساً آخر في أعضائي » رو ٧ : ٢٣

وطالما كنا في هذا الجسد فنحن في كل حين عرضة لهجمات التجربة ولكن سيأتي الوقت السعيد الذي يستبدل فيه جسد تواضعنا هذا بجسد آخر على شبه جسد مخلصنا بعد قيامته من الاموات . وعندئذ تبطل الحرب الكائنة بين الروح والجسد

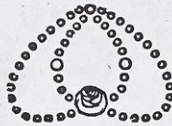
ولكن هلا يوجد أمل في هذه الحياة للخلاص من هذه العبودية ؟ لا شك في أنه يوجد رجاء كبير . قد يحارب ذلك الناموس الآخر الكائن في أعضائنا ناموس الذهن ومع ذلك فلا يستطيع ان يسببه الى ناموس الخطية لانه محصن بناموس روح الحياة في المسيح يسوع القادر ان يعتقنا من ناموس الخطية والموت رو ٧ : ٢١ -

٢ : ٨ ، ٢٥

ان القوة الوحيدة التي تستطيع ان تمنحنا النصر على الطبيعة الفاسدة التي فينا هي قوة روح الله القدوس الساكن فينا . « اسلكوا

بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد لان الجسد يشتهى ضد الروح والروح
ضد الجسد ... حتى تفعلون ما لا تريدون » غل ٥ : ١٦ و ١٧
طالما كنا في هذا العالم فنحن عرضة لهجمات الشيطان . ومهما
ممت حياتنا الروحية ودخلنا حتى الى قدس الاقداس فلا زلنا عرضة
للتجربة طالما كنا في هذا الجسد .

ولكن عندما نمتلىء بروح الله القدوس يخر الشيطان
تحت أقدامنا صريعاً مهما اشتدت التجربة ، ولا تعود بعد طبيعتنا
تنجذب الى الغوايات الكثيرة التي تتقدم اليها من الخارج . بل
والأكثر من ذلك أن الروح القدس عندما يملك على القلب
ينزع منه كل الأميال التي تنجذب الى الخطية ، فيحول محبة الشر
الى كراهية وبذلك فنظر الى الشر بغير النظرة التي تعودنا أن ننظر
اليه بها ونستقبح تلك المناظر التي كنا قديماً نستملحها ونجري وراءها
ليت الرب يجعل هذا نصيب كل واحد من أولاد الله الذين
يقرأون هذه الكلمات ؟



أفصل النخامس

في أعمال السجدة

(تك ٣٩ و ٤٠ ، مز ١٠٥ : ١٧ — ١٩)

ليختر لي ربي نصيبي الصالح
لئلا يسبب لي اختياري السيء خسارة الخير العميم الذي قصده لي
ليختر لي ربي فان حكمته لا تخطيء قط
أما نحن فأغبياء وجهلاء
وعلينا بصبر واحتمال أن نقبل المتاعب والآلام
فان وراء التجربة المجد ، ووراء الصليب العرش

لم يكن بين الحب والسجن سوى فترة وجيزة استمتع فيها
يوسف بالراحة والسعادة . فسرعان ما تلبد الجو أمامه بغيوم قاتمة .
لأن فوطيفار لما سمع ذلك الاتهام الشنيع من زوجته وتحقق أن
الثوب الذي في يدها هو ثوب يوسف حمى غضبه ولم يشأ أن

يستوضح حقيقة الأمر بل طرحه في السجن العام الذى كان موكلًا
إليه أمر إدارته

(١) قسوة الآلام التى تحملها

١ — لم يكن ذلك السجن الذى زج فيه كالسجون التى
نشاهدها اليوم ، متوفر فيها الهواء والنور ويقوم بالأشراف عليها
قوم بقى فى قلوبهم شئ من العطف والمحبة . فقد كانت السجن
قديمًا أشبه بالمغارات . كان السجن يحتوى على غرفتين أو ثلاث
حشرت فيها اجسام عشرات من البشر ، يسودها الظلام الدامس
وتملأها الروائح الكريهة — هذه كانت حال السجن الذى قضى فيه
يوسف سنتين فى البؤس والشقاء . ولكى تتكون لديك صورة
عن ذلك السجن تصور غرفة متسعة مظلمة جداً بلا نوافذ ،
رصفت أرضيتها بالحجارة التى قد غطتها طبقات من الأتجار ،
لا يدخلها نور ولا يجتازها هواء إلا عندما يفتح الباب
لادخال الخبز والماء ، وهما القوت الوحيد الذى يعرفه السجين ،
ليس هنالك أقل ترتيب للنظافة أو لفصل المسجونين بعضهم عن
بعض ، لا يسمع طول الليل سوى صليل السلاسل الحديدية التى
تنقلت بها أرجل هؤلاء المساكين البؤساء .

٢ — هذه كلها لم يكن من السهل ان يحملها شاب قد تعود

ان يكون حراً طليقاً في الصحارى السورية. ان الحبس مرعب للجميع ، على انه مرعب بنوع خاص للشبان ، وبنوع اخص للشبان الذين تجرى في عروقهم دماء العرب ، الذين يحشون العبودية اكثر مما يرهبون الموت .

وقف مرة احد البحارة في ساحة متسعة واشترى قفصاً به بعض العصافير واطلقها حرة ، ثم اشترى قفصاً ثانياً ثم ثالثاً ، وهكذا حتى تجمع الناس حوله منذهلين لهذا المنظر الشاذ . ولما اعترضه احدهم بالسؤال عن السبب في هذا العمل الغريب اجابهم بانه قد قضى زمناً طويلاً معذباً في احد السجون وذاق فيه مرارة العبودية ولم يكن يعرف قبل ذلك معنى ولا سعادة الحرية ولهذا فانه يسر اذ يطلق هذه العصافير ليعود الى اوكارها حرة طليقة . ونحن كذلك لا نستطيع ان ندرك قيمة الحرية لاننا لم نحرّم منها قط . وكذلك كان الحال مع يوسف فانه لم يكن يدرك قيمتها قبل ان زج في اعماق السجن

٣ — وعلاوة على حشر السجن فقد كان يضايقه ايضاً صليل القيود الحديدية المستمر . صحيح انه كان يتمتع بالخطوى التي فاهها في عيني حارس السجن وبالمعاملة الاستثنائية التي كان يعامل بها ولكنه كان سجيناً وكلما كان يتحرك كان يذكره صليل القيود بانه سجين . وهذه الحالة تذكرنا بحالة شخص آخر من اولاد الله الذين

ذاقوا مرارة السجون ، هو بولس الذى اخذ مرة القلم ليدون توقيعه على احدى الرسائل - دليلاً على صدقها - وشعر بمقاومة السلسلة التى توثقت بها يداها ، والتى بها ربط بجندى الحرس الامبراطورى . ونحن نستطيع ان نسمع الى صليل تلك القيود كلما سمعناه يردد تلك الكلمات « اذكروا وثقى » كو ٤ : ١٨

٤ - وفوق كل ذلك فان معتقداته الدينية قد زادت تعذيباً . فانه كان قد تعلم من ابيه يعقوب تلك النظرية التى كثيراً ما ردها اصدقاء ايوب الثلاثة ، والتى كثيراً ما كان ينادى بها معلو وفلاسفة للشرق فى تلك الايام وهى : ان الاخيار لا يصيبهم الا الخير والاشرار لا يصيبهم الا الشر ، وان النجاح علامة على رضى الله ، وان المصائب دليل على الغضب الالهى . وقد كان يوسف صالحاً . ألم يكن دوماً مطيعاً لوصايا واوامر ابيه مع ان اخوته كانوا اشراراً وكانوا يحاولون ان يجذبوه الى شرهم . ولكن ماذا جنى جزاء امانته وطاعته ؟ لم يكن سوى الحقد والبغضاء والغيرة المرة من اخوته فى اللحم والدم . ألم يكن فى عثمون شبابه طاهراً عفيفاً فاستطاع ان يتف ثابتاً امام غواية تلك المرأة رغم شدة وطأة التجربة لانه ابى ان يخطئ الى الله ؟ وماذا جنى جزاء نزاهته هذه ؟ لم يكن الا ان لصقت به تهمة شنيعة كان بريئاً منها ورغم ذلك فقد نال قصاصاً مريعاً لم يكن يستحقه . ألم يكن شفيقاً محباً لزملائه المسجونين ينصت لاقاصيصهم واحلامهم

ويتكلم بالسلام الى قلوبهم؟ وماذا جنى جزاء محبته وعطفه؟ لم يكن شيئاً وقد يبدو اليه بانه كان الافضل ان يحتفظ بعطفه لنفسه .

وهل كانت هنالك اذاً أية فائدة لتقواه؟ وهل كان صحيحاً ما تعلمه في صغره ان الخير يأتى للصالحين والشر للظالمين؟ وهل يوجد حقيقة إله يقضى بعدل في الارض؟ قد تستطيع ايها القارئ الكريم ان كنت قد زرعت بذور القداسة والمحبة ولم تحصد إلا الخيبة والفشل والآلام والبغضاء - قد تستطيع ان تحس ببعض احساسات يوسف وهو في اعماق سجنه البغيض .

٥ - ثم ان مرارة الخيبة والفشل قد زادت كأسه مرارة - فـ اذا كان نصيب تلك الاحلام التي رآها في ايامه الاولى منبثة بعظمته والتي ملأت عقله وقلبه بالآمال والاماني؟ أما كانت هذه الاحلام من الله؟ لقد كان يظن انها من الله وكذا كان يعتقد ابوه الشيخ ، ولم يكن ظنه مبنيّاً على الخدس والتخمين فقد كانت صلته بالله وثيقة . هل انعدم الحق والصدق والامانة من السماء كما من الارض؟ وهل كان اخوته قد نسوه تماماً؟ وهل لم يفكروا في البحث عنه؟ وهل سيقضى بقية أيام حياته في ذلك السجن الكريه ولا يعود يستنشق نسيمات الحرية - وكل ذلك لانه قد تجاسر بان يفعل الحق؟ وهل تعجب ان ملأ قلب ذلك الشاب الغض الحزن

والكآبة لدرجة اليأس والقنوط ؟

على أن يوسف لا يقف منفرداً وحيداً في تلك الاختبارات المؤلمة . قد تكون أيها القارئ الكريم لم تذق مرارة السجون ولكنك قد تكون جزت بعض الظروف المظلمة التي حالت دون تحقيق آمالك . قد تكون سالكاً في الحق وقد يؤدي بك سلوكك في الحق الى بعض الضيقات والمتاعب التي لم تكن تتوقعها ، ولا شك في أفك تميل في ظروف كهذه أن تتساءل عن علة هذه المتاعب وانت نزيه أمين للحق . او قد تكون صنعت احساناً لانسان ما كما فعل يوسف مع فوطيفار ولكنك لم تقابل منه إلا بالاساءة . ومن ذا الذي لا يعرف مرارة سوء تقدير الناس لفعاله وسوء ظنهم به واتهامهم اياه بالباطل .

(٢) بركة الآلام التي تحملها

١- كانت أولى البركات التي تحملها يوسف - وهي أقلها قيمة - ان السجن كان سبباً في خدمة مصالحه الزمنية . فتد كان ذلك السجن معداً لقبول مسجونى البلاط الملكى وحاشيته . قد لا ندرك الآن كثيراً أهمية مركز كل من رئيس السقاة ورئيس الخبازين اللذين كانا رفيق يوسف في السجن ، ولكنهما كانا في وقتها واسعى السلطة والنفوذ . فوجوده مع هذين الرجلين يكسبه دراية واسعة

فى الشئون السىاسية وفى الامور العامة ، وهذه لا شك قد افادته
كثيراً فى ايامه التالية

٢ — على أنه يوجد ما هو أهم من ذلك . تأمل فى مرز
١٠٥ : ١٨ حيث يتكلم المرئم عن سجن يوسف تجده يقول « فى
الحديد دخلت نفسه » او بتعبير آخر « الحديد دخل الى نفسه » ألا
يوجد كثير من الحق فى هذا التعبير . فان الحزن والوحشة دخلت
الى نفس ذلك الشاب الغض فاكسبته صلابة وقوة واحتمالا وتجلاً ،
وهذه كلها صفات لازمة للخلق النبيل القويم .

أيها الحبيب ! لا تجزع من الآلام . بل تحملها بصبر وصمت
ورباطة جأش وتأكد بأن هذه هى طريقة الله : أن يدخل الحديد فى
تكويئك الروحى .

لما كان يوسف فى صبوته كانت أخلاقه رخوة بسبب تدليل
آبيه له . فقد كان معجباً بتميصه الملون ، وكان يحلو له أن يتغنى
باحلامه . لم تكن فى هذه الصفات خطية ولكنه كان ينقصه القوة
والعزيمة والثبات . وما أعظم التغيير الذى صنعه به السجن . فمنذ
اللحظة التى دخل فيها السجن ودخلت نفسه فى الحديد دخل الحديد
الى نفسه واكتسب الحكمة والشجاعة والثبات والرجولة الكاملة
وهذه كلها قد افادته كثيراً فيما بعد حتى أنه عندما عين والياً على
مصر أظهر منتهى الكفاءة والحزم ، وكفاه فخراً أن يقود مملكة

عظيمة في تلك الجماعة الطاحنة دون أن نرى أى أثر لروح التمرد
بين شعبها

وهذا عينه هو ما تفعله معك الآلام أيها القارئ العزيز . ان
العالم يحتاج الى رجال ذوى عزيمة حديدية فى جميع الاعمال العالمية .
والله يحتاج الى قديسين ذوى نفوس حديدية ، وطالما كانت لا توجد
طريقة لادخال الحديد الى النفس إلا عن طريق الآلام فانه يسمح
بان يجوز شعبه وسطها . « ولكن كل تأديب فى الحاضر لا يرى
انه للفرح بل للحزن . واما اخيراً فيعطى الذين يتدربون به تمرير
للسلام » عب ١٢ : ١١

هل انت الآن فى سجن بسبب اتباعك الحق ؟ هل اوشكت
انقر سنى حياتك ان تنتهى وانت مهمل فى زوايا النسيان ؟ هل ترزح
تحت ثقل المظالم والاضطهادات الكثيرة ؟ ان كان الامر كذلك
فلا تيأس بل تشجع فان الفرصة لا زالت باقية والله انما يريد ان
يخلق منك رجلاً حديدياً . ان تاج الآلام الحديدي ينبغى ان يسبق
تاج المجد الذهبي

هل هنالك شخص متقدم فى الايام يقرأ هذه الكلمات ؟ ان
كان الامر كذلك فقد يخطر بباله ان يسأل هذا السؤال : لماذا
يسمح الله بعض الاحيان ان يملأ حياة بعض اولاده بالآلام وقد
لا يترك لهم فرصة لخدمته ؟ لا بد ان يكون هنالك عالم آخر فيه مجال

للخدمة المجيدة ، وما هذا العالم الحاضر الا فرصة للاستعداد لذلك العالم الآخر . واذا ما صرفت الحياة كلها فى الآلام - ولو وصلت سبعين عاماً - فليس ذلك بالكثير فى نظر الله بازاء تمتع النفس بخدمته طول الابدية . لقد كان السجن بمثابة المدرسة التى هيات يوسف للخدمة فى قصر فرعون . ولو كان الحجاب قد كشف عن عينيه وهو فى السجن ليرى المستقبل وما ينتظره لما كان قد تعجب من قسوة الآلام التى عاناها . ونحن كذلك لو استطعنا أن نرى ما ينتظرنا فى قصر ملك الملوك لما كنا نستغرب البلوى المحرقة التى قد تحمل بنا فى هذه الحياة من آن لآخر .

(٣) تعزيات الله ليوسف وسط هذه الآلام .

١ - « وكان (يوسف) هناك فى بيت السجن . ولكن الرب كان معه » ص ٣٩ : ٢٠ و ٢١ . لقد كان الرب معه فى بيت فوطيفار ، ولكنه عندما انتقل الى السجن كان الرب معه أيضاً هناك . أنه لا شيء فى الوجود يفصلنا عن الله سوى الخطية . فظالما كنا نسير مع الله سار الله معنا . ان رجل الله يستطيع أن يعيش مستقلاً أكثر من غيره من البشر وذلك بفضل رقة الله له . وهو كالمدينة الذهبية لا يحتاج الى الشمس ولا الى القمر لان الرب الاله هو ضياؤه الأبدى رؤ ٢١ : ٢٣ . ان وجد فى قصر وجدته معتبطاً لا بملاذاته بل بوجود الله فيه ، وان وجد فى سجن وجدته

مغنياً مسبباً لأن إله المحبة لا يمكن أن يفارقه . فالنفس التي قد
اتصلت بالله تعتبر كل الأمكنة وكل الاختبارات على السواء
« فقلت إنما الظلمة تعشاني . فالليل (ليل الاحزان والآلام)
يضئ حولي . الظلمة أيضاً لا تظلم لديك . والليل مثل النهار
يضئ كالظلمة هكذا النور » مز ١٣٩ : ١١ و ١٢

٢ — وفضلاً عن ذلك فإن الرب « بسط اليه (كشف أو
أظهر) لطفاً » ٢١ : ٣٩ . وإلهنا من رؤية عجيبة أظهرها له الرب . انه
لم يقف على الجبل كما وقف موسى عندما أظهر له الرب مجده وعظمته ،
ومع ذلك فقد أظهر له الرب منظراً مجيداً — أظهر اليه لطفه . لقد
كان السجن له بمثابة جبل التجلي ، ومن أعماقه رأى ما لم يستطع
أن يراه من قبل — رأى أعماق محبة الله ولطفه . ولهذا فقد كان
السجن جديراً بأن يذهب اليه لكي يتعلم هذا الدرس الثمين . إذا
ادبرت آلة السينما في غرفة منيرة تنطبع الصور على الشاشة البيضاء
ولكنها لا تظهر بسبب الضوء ، أما إذا ساد الغرفة الظلام ظهرت
الصور بأجلى وضوح . وهكذا كثيراً ما يسمح الله بأن يسود
الظلام حياتنا لكي يرينا رحمته .

أيها الاخ الحبيب . ان جازت نفسك في سجون الضيقات
فكن ساهراً بل ازدد سهرًا وبقظة ، ففي السجون قد اتيح لبعض
أولاد الله ان يروا شيئاً من اجماده . في السجن التقى بولس بالرب ،

على أبواب السجن رأى يوحنا باب السماء مفتوحاً ، وفي السجن بسط
الرب الى يوسف لطفاً . والله قد لا يجد فرصة ليرينا رحمته الا
عندما تشتد الضيقات . أليس الليل هو الوقت الذى نرى فيه نجوم
السماء ساطعة ؟

٣ — ان الله يستطيع ان يخلق لاولاده اصدقاء فى احقر
الاماكن ومن اقذر البشر : « ولكن الرب . . . جعل نعمة له
فى عيني رئيس بيت السجن » ع ٢١ . كان ذلك الشخص — على
الارجح — فظاً غليظ القلب بلا رحمة قاسياً كسيده فوطيفار ، وكان
على الارجح يميل الى زيادة التنكيل بذلك العبد العبرانى ارضاء
لهسيده . على انه كانت هنالك قوة أخرى تعمل فى الخفاء لا يدرى
عنها شيئاً وكانت تلك القوة تُميل قلبه لذلك الشاب وتملأه ثقة به .
ان كل القلوب مفتوحة لذلك الملك الاعظم وفى يده مفاتيح جميع
قلوب البشر ، لهذا فانه يستطيع ان يفتح اقصى القلوب . « اذا
ارضت الرب طرق انسان جعل اعداءه أيضاً يسالمونه » ام ١٦ : ٧
ومن اليسير جداً على الله ان يحول قلب اى انسان كما يحول الفلاح
مجرى الجدول الصغير ليحمل الخصب الى الارض الجرداء .

٤ — ان فى خدمة الآخرين راحة لنا من اتعابنا . وهذا ما
اختبره يوسف . لا شك بانه عندما وجد نفسه موضع ثقة رئيس
بيت السجن حتى كلف بالاهتمام بشئون « جميع الامرى الذين فى

بيت السجن ، كان ذلك عاملاً قوياً في ان يقطع عليه سلسلة احزانه المتواصلة. لقد فُتح امامه باب جديد للعمل وهذا كان داعياً لتخفيف عبء المتاعب التي كان يرزح تحتها ، فقد كان يقضى وقتاً طويلاً في الاستماع ل اخبار بعض زملائه الذين كانوا أوفر منه نصيباً في المظالم التي تحملوها ، وفي ذلك كان يجد بعض الراحة والترفيه عن نفسه المثقلة بالحزن والالام .

انه لما يسترعى التفاتنا ان نرى اهتمامه العظيم بحالة كل واحد من زملائه الذين اوكل اليه امرهم وكيف كان يتفرس في وجوههم ويسهر على راحتهم وينصت لاحاديثهم واحلامهم . لهذا فانه نستطيع أن نعتبر يوسف أعظم مصلح ظهر للآن من مصلحي السجن ، وهو لم يبق بهذا المركز الرفيع غيره منه في اصلاح حال هؤلاء القوم التعساء فقط بل لانه كان يرى أيضاً في هذه الخدمة تخفيفاً ل احزانه .

انه لا يوجد دواء للقلب الحزين كخدمة الآخرين . فان كانت حياتك قد أنتقلت الى الأحزان والهموم فلا تجلس لكي تتأمل في حالتك التعبة بل قم على الفور وابحث عن أولئك الذين هم أوفر نصيباً منك في الأحزان والمظالم واحمل اليهم بلساناً لجروحهم الدامية ومحبة وعطفاً لتلويهم الكسيرة . وإن لم يكن في مقدورك أن تقدم لهم مساعدة عملية تذكر ، فان أقل ما تستطيع عمله أن

تقتدى بيوسف وتجلس بجانبهم وتنصت لأخبارهم وأحلامهم ،
خان في الاستماع خيراً جزيلاً . لأن القلب المثقل يميل إلى أن ينسكب
أمام الآذان التي تعطف وترثى ، ولأن في الافضاء بأسرارنا
وأحزاننا للآخرين ترويحاً كبيراً للنفس عن آلامها .

إن كنت لا تستطيع أن تفعل شيئاً لتخفيف آلام الآخرين
ورفع المظالم عنهم فتعلم كيف تستمع إليهم ، وعزهم بالعزيزة التي قد
عزأك بها الله ٢ كو ١ : ٤

وأنت إذ تستمع إليهم وتعزيهم وتكفكف دموعهم ستدرك
أن فيرك هين وستخبر أن غصناً من الشجرة الحقيقية — شجرة
الصليب — قد سقط في مياه حياتك المرة فحولاً وبدل
الحزن فرحاً . وأنت إذ تستمع إليهم لا بد أن تجد ما وجده
يوسف — لا بد أن تجد ذلك المنتاح الذي به تفتح الأبواب
للثميلة التي كنت محبوساً داخلها .

والآن نهض بهذه الكلمات الختامية للنفوس التي قد تثقلت
بالحزن بلا ذنب ولا جريرة

١ — أيها الأخوة الأعزاء لا تتعجبوا . فأنتم تبعون سيدكم
الذى ظل بنو جنسه يجهلون أمره ويسميئون إليه من سن الثانية
عشرة حتى صعوده إلى السماء ، الذى لم يفعل خطية ولسكنه حسب
كخاطيء ، الذى قال عنه عدوه «انى لست أجِد فيه علة» ومع ذلك

فقد لتب « بيملازبول ». فان كانوا قد قالوا هذا عن رب البيت
فكم يقولون عن أهل البيت . « لا تستغربوا البلوى المحرقة الى
مينكم حادثة لاجل امتحانكم كأنه أصابكم أمر غريب » ١ بط ٤ : ١٢
وكل ما عليكم هو أن تتأكدوا بأنكم تتألمون ظلاً وعدواناً وبأنكم
تألمون كمسيحيين

٢ — لا تفشلوا في عمل الخير . كان ممكناً ليوسف أن يقول
ما الفائدة من تقواي ولماذا لا أعيش كما يعيش الآخرون . ولكنه
ظل ثابتاً في الحق ومستمراً في عمل الخير . أثبتوا في الحق لأنه
حق ان تثبتوا في الحق ولان الله متطلع اليكم ، ولان ذلك يملأ
قلوبكم فرحاً وسروراً . وإذا ما أسى اليكم بعد ذلك فأنكم عندئذ
لا تفشلون ولا تيأسون

٣ — وفوق كل ذلك لا تنتقموا لانفسكم . عندما تأمل
يوسف في متاعبه لم ينتقم على اخوته ولا على فوطيفار ولا على زوجته
وانما قال بكل بساطة « انى قد سُرقت من أرض العبرانيين .
وهنا أيضاً لم افعل شيئاً حتى وضعوني في السجن » ص ٤٠ : ١٥
ولا شك انه جال في خاطره معنى كلمات الرسول : « لا تنتقموا
لانفسكم ... بل اعطوا مكاناً للغضب » رو ١٢ : ١٩ ، « ان كنتم
تألمون حاملين الخير فتصبرون فهذا فضل عند الله » ١ بط ٢ : ٢٠
انما نخطئ كل الخطأ ان كنا نحاول دوماً ان نبرى انفسنا

فالأحرى بنا ان نستمر في عملنا ونترك الله ان يجلي قضيتنا ويظهر
حقنا . « يخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة » مر ٣٧ : ٦
عندما كان المرغم يتحدث عن يوسف وعن تبرة الله اياه قال
« قول الرب امتحنه » او (برأه) حسب بعض الترجمات
مر ١٠٥ : ١٩ . ويا لها من تبرة مجيدة تلك التي صنعها الله مع عبده
الامين هذا

لا شك في اننا جميعاً معرضون للتهم الباطلة وتعديات الآخرين
ومظالمهم واساءتهم الينا . وفي هذه الظروف يميل المرء بطبيعة
الحال ان يتصرف كأهل العالم اذ تنجبه الافكار لاول وهلة الى
الالتجاء للمحاكم والسلطات العالمية . اما المؤمن فانه يرفع قضيته الى
محكمة أعلى ويبسطها امام إلهه . لانه يفضل الاتكال على عناية الله
القادرة ان تظهر حقه عن ان يستخدم مجهوده الشخصي في الوسائط
العالمية . وهو لا يرى بأساً من الانتظار ولو بعض الشهور والسنوات
حتى ينصفه الله . وهو لا يبالى كثيراً اذا ما عوجت المحاكم البشرية
في حقه ولكن كل ما يهتم به هو دينونة الله وهو ينتظر تلك اللحظة
التي فيها « يضيء الابرار في ملكوت ابيهم كالشمس » عندما
تضيء مبددة كل ظلام مت ١٣ : ٤٣ « متى اظهر المسيح حياتنا
فحينئذ تظهرون انتم ايضاً معه في المجد » كو ٣ : ٤ في ذلك اليوم
تفتضح الاسرار وتجلو الحقائق ويزول كل سوء فهم . ايها المظلومون

المضطهدون ! أليس الأجدر بكم ان تنتظروا قضاء الابدية العادل ،
قضاء الله الذى لا شك فى انه سيخرجكم مثل النور بركم وحقكم مثل
الظلمة .

كم هو مريح لنا جداً أن نعتقد أن يد الله الرفيعة تهيمن على
كل شيء فى الوجود وان ارادته تتحكم فى كل شيء . فان كنا ننظر
الى كل ما يحل بنا من مظالم ومصائب بأنها آتية الينا من يد
الاشرار تثقلت حياتنا بالهموم والاحزان . أما ان كنا ننظر الى كل
شيء بأنه خاضع لارادة الله وثق بان ما يحل بنا من مظالم لا بد
أن يكون بسماح منه فاننا نجد فى ذلك راحة عظمى وتعزية ليست
بقليلة فهو القادر أن يحول كل شيء لخير أولاده مهما دبرت
الشورور واحكمت المؤامرات ضدهم

ألم يكن يهوذا هو الذى دبر موت المخلص وهو الذى تأمر
مع اليهود على اتمام كل شيء حتى نجح فى مسعاه ، ومع ذلك فان
الرب يسوع عند ما يتحدث عن تلك الكأس يقول عنها بان
الآب هو الذى أعطاها اياه . ومع أن رؤساء الكهنة والفريسيين
هم الذين حكموا عليه بالموت الا اننا نراه يقول بانه يضع حياته كأن
أمر موته فى سلطانه تماماً . وحقاً أن كل الذين يحبون الله لن
يصيبهم الشر . واذا ما حلت المصائب بالمؤمن تجده منحصرآ فى

التأمل في أعمال العناية الإلهية لعلمه تنكشف له أسرار ومكنونات
إرادة الآب السماوى .

لهذا ينبغي أن لا نجزع أو نتمعجب اذا ما جزنا بعض
الظروف المظالية • لانه ينبغي أن تتحطم سفينة آمالنا لكي تتعلق
بأهلنا ولكي تزداد اختبارا في الاتكال على العناية الإلهية ولكي
نستطيع أن تهلل مع المرنم قائلين (عصاك وعكازك هما يعزياننى)
» ارسل أمامهم رجلا

بيع يوسف عبداً

آذوا بالقيد رجليه

في الحديد دخلت نفسه

إلى وقت مجي كلمته

قول الرب امتحنه

ارسل الملك فخله

أرسل سلطان الشعب فاطلقه

أقامه سيداً على بيته

ومسلطاً على كل ملكه

ليأسر رؤساءه حسب إرادته

ويعلم مشايخه حكمة »

الفصل السادس

من السجدة الى العرش

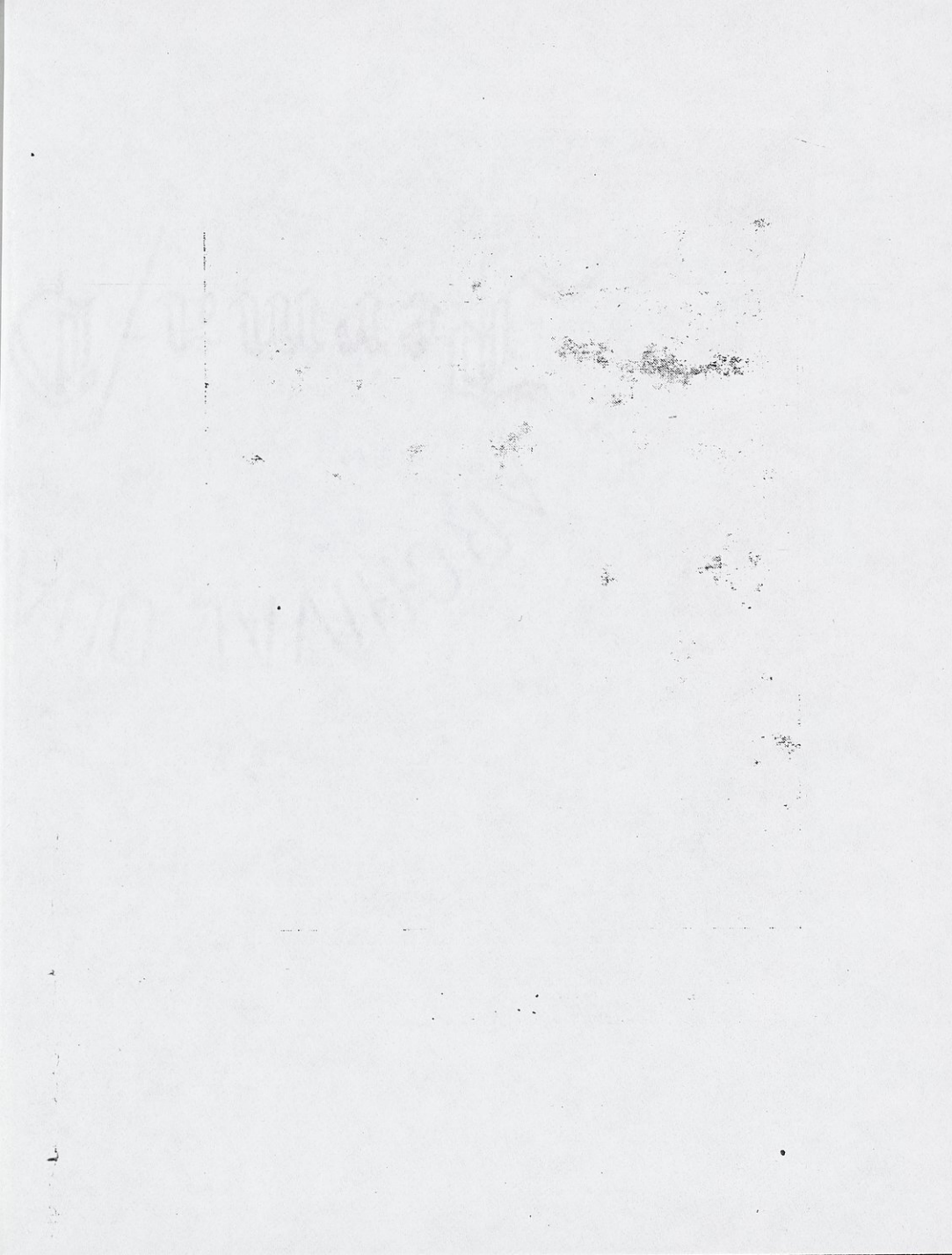
(تك ٤١)

ان الخطوات التي سار يوسف في إثرها من السجن الى العرش لا شك مغروقة لكل قارئ ، ولهذا فهي لا تحتاج الى شرح دقائقها وتفصيلها . وإنما سنقتصر تأملاتنا في هذا الفصل على بعض النقاط الجوهرية

(١) الرجاء المأطل . « اذا ذكرتني عندك حينما يصير لك خير تصنع الى احساناً » تك ٤٠ : ١٤ وكان هذا طلباً متواضعاً طلبه يوسف من رئيس السقاة الذي فسر له حلمه . على ان البعض يظنون ان يوسف قد اخطأ في تقديم هذا الطلب لانه لا يليق به ان يلجأ الى فرعون طالما كانت صلته بملك الملوك وثيقة ، وفي استطاعته ان يقدم اليه شكواه ويبسط امامه امره في اى وقت اراد . ولاخواننا المسلمين حديث خاص في هذا الشأن فهم يقولون ان الله قد حول



يوسف يفسر الاحلام في السجن



سجن يوسف إلى جنة فيحاء تتوسطها نافورة وعلى بابها شجرة وارقة الظلال مشجرة ثمرًا شهيًا ، وانه عندما قدم هذا الطلب لرئيس السقاة تحطمت النافورة وذبلت الشجرة ، وذلك لأنه اتكل على معونة إنسان ضعيف بدلا من الاتكال على الاله القدير

على أنه إن حق لنا أن نعيب على يوسف ضعفه في هذا الموقف إلا أنه لا يليق أن نشدد النكير على ذلك الشاب في أشد أوقات محنته . فان أقوى رجال الايمان قد خارت عزائمهم في بعض الظروف . فهوذا إيليا قد ارتقى في الصحراء وطلب الموت لنفسه . و بوحننا المعمدان نراه وقد خامرته الشكوك في ظلمات السجن يرسل اثنين من تلاميذه الى المسيح ليتأكد أن كان هو المسيا المنتظر . وغيرهما من الأبطال قد خارت نفوسهم في بعض الظروف المحزنة . فان كان يوسف قد التجأ الى المعونة البشرية في هذا الظرف القاسي فمن منا يستطيع أن يدينه ؟ من منا لا يفرق به ويرثي لحاله ؟ من منا كان في استطاعته أن يسلك طريقاً آخر ؟ كم من المرات نصرح بان نفوسنا قد انتظرت الرب لا سواه وفي نفس الوقت فاتجىء للبشر لطلب المعونة ؟

يذكرنا هذا الطلب الذى قدمه يوسف « إذا ذكرتني » أو « اذكرني » بتلك الصلاة التى رفعها الصليبي للمسيح عندما كانت نفسه منحدره الى الهاوية . ولكن ما أعظم الفرق بين استجابة كل

من الطلبتين. فان طلبية اللص قد استجيت في الحال وتمتع بالدخول مع المسيح إلى الفردوس في نفس اليوم. أما يوسف فقد كان الحال معه على النقيض

لا شك أن رئيس السقاة عندما سمع هذا الطلب قد أجاب بالقبول في وقته، ولا شك أنه عزم من كل قلبه على أن يعطيه مركزاً في دائرة عمله إذا تحققت أحلامه وعاد إلى وظيفته الأولى. ويخيل إلينا أنه عندما ترك السجن ودّع يوسف قائلاً: استودعك الله، إلى اللقاء، في القريب العاجل حيث أرجو أن أستدعيك للانتفاع بعواهبك ولكي أرد اليك بعض الدين الذي أنا مدين لك به.

« ولكن لم يذكر رئيس السقاة يوسف بل نسيه » تك ٢٣: ٤٠
وياله من وقع سيء هذه الكلمة « نسيه » ولا شك أن الكثيرين من القراء يدركون مرارة هذا النسيان. مرت الأيام، يوماً بعد يوم، ويوسف يتقرب تحقيق وعد ذلك الصديق. ومرت الأسابيع وهو ينتظر رسالة الخلاص من ظلمات السجن، وكمن مرة ركض نحو باب السجن على أثر بعض الطرقات الفجائية ظناً منه بأن ساعة الخلاص قد حانت. وإذا أبطأ تحقيق الوعد كان يتلمس المعاذير الواهية للأبطاء. فكان يصبر نفسه بأن رئيس السقاة لا شك قد ازدحم وقته بتهنئات المهنيين وبالكثير من الأعمال التي كانت معلقة تنتظر عودته. أو ربما كان يتوقع فرصة مناسبة

لكي يرفع قضيته للأعتاب الملكية . وهكذا ظل وقتاً طويلاً في
هواجسه يعلل نفسه بالأمال الكاذبة . ولكنه أخيراً لم يربداً من
أن يرضخ للحقيقة الواقعة التي كانت تضغط على عقله وقلبه رويداً
رويداً وهي أنه قد « نسي »

ولا شك أن الرجاء الماثل قد أمرض قلبه ام ١٣ : ١٢
ولكنه قد بقي ثابتاً لا يتزعزع ، فان كان رجاءه في البشر قد خاب
فذلك أدعى لازدياد ثقته في الله ، ولهذا فلا شك أنه قد قال بعد
ذلك « انما لله انتظري يا نفسي لأن من قبله رجائي » مز
٥ : ٦٢

أما ثقته في الله فلم تذهب باطلاً لأن الله بعنايته التي لا يدرك
مداها أخرجته من السجن وصنع له خيراً جزيلاً لم يكن ممكناً أن
يصنعه له رئيس السقاة

ربما يقرأ هذه الكلمات البعض من أولاد الله ممن هم واقعون
في ارتباك أو ضيق كما كان يوسف في السجن ، وربما يكونون قد
حاولوا مراراً أن يدبروا لانفسهم طريقاً للخلاص ولكنهم وجدوا
أن كل مساعيهم قد ذهبت ادراج الرياح وأن الاشخاص الذين
كانوا يؤملون فيهم المعونة قد خيوا كل آمالهم . ويا لها من مرارة
كالعقم ، مرارة الفشل والخذلان .

(٢) ولئلا هؤلاء نقدم ثلاث نصائح موجزة :

١ — « كفوا عن الانسان الذى فى أنفه نسمة » (أى نسمة الحياة فى أنفه) اش ٢ : ٢٢ صحيح . أفنا لا نستطيع أن نعيش بدون عطف الاصدقاء ورعايتهم ، وانا نحتاج الى معونة البشر والاستماع لصوتهم ، وانا نقطف الى معوقتهم كما يقطف الفرمق ليمسك فى قشة ، ولكن يجب أن لا يغرب عن البال أن البشر طالما خبيوا آمالنا . وكم برهنت الايام على أن أحسن الاصدقاء لم يستطيعوا أو لم يرغبوا فى مساعدتنا بالكيفية التى كنا نتوقعها . « ملعون الرجل الذى يتكل على الانسان ويجعل البشر ذراعه وعن الرب يحيد قلبه . ويكون مثل العرعر فى البادية ولا يرى اذا جاء الخير بل يسكن الحرّة فى البرية أرضاً سبخة وغير مسكونة » ار ١٧ : ٥ و ٦

٢ — تحولوا من الانسان الخادع الكاذب الى الله الامين حمر الدهور . « فهو يبق أميناً » ٢ : ٢ الى ١٣ وهو اذا وعد لا يمكن الا أن يبق بوعدده ، وهو بنفسه يقول « اذكر هذه يا يعقوب لا تنسى منى » اش ٤٤ : ٢١ قد تنسى الام وضعها وقد لا ترحم ابن بطنها أما الرب فلا ينساكم اش ٤٩ : ١٥ قد يترككم الله زمناً طويلاً بلا معونة ، وقد يترككم معذبين فى العاصفة حتى الهزيع الرابع ، وقد يتجلى يومين ويبقى فى المدينة

التي هو فيها ولا يبالى بلمآزر حبيبه الذي مات ، وقد يهمل صلواتكم
على كثرتها دون أن يستجيبها ، ولكنه لا بد أن يقول أخيراً
« يا امرأة — يا رجل — عظيم إيمانك ليكن لك كما تريدن »

مت ٢٨ : ١٥

٣ — انتظروا الرب . نحن كثيراً ما نتسرع وفقلق ونجزع ،
وهذه خطية عظمى . فان الذين يستطيعون الانتظار هم وحدهم
الذين يفوزون بتحقيق كل آمالهم . « والذين ينتظرون الرب هم
يرثون الارض » مز ٣٧ : ٩ ربما تكون قد حملت حاملاً في
حدائك — كما حلم يوسف — بأن تكون نافعاً وسبب بركة
للآخرين . ولكنك ترى الآن أن كل الأبواب تكاد تكون
مغلقة في وجهك وانك لم تستطع أن تقدم خدمة في حياتك .
والآن ارفع قلبك لله ، واخضع لإرادته واخبره بأنك تترك له
تحقيق كل أحلامك . « انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث
الارض . الى انقراض الاشرار تنظر » مز ٣٧ : ٣٤ قد يسمح
الله بان يتركك زمناً آخر في انتظارك ولكنك لا بد ان تدرك
أخيراً أنه يحقق كلامه الذي قاله أحد أولاد الله عن اختبار في ثقته
به « أما خلاص الصديقين فمن قبل الرب حصنهم في زمان
الضيق . ويعينهم الرب وينجيهم . ينقذهم من الاشرار ويخلصهم
لانهم احتموا به » مز ٣٧ : ٣٩ و ٤٠

(٣) حلقات سلسلة العناية الالهية .

اما اولاً فان اصرأة فوطيفار توجه الى يوسف تهمة لا اساس لها تؤدى الى سجنه ، ثم نرى ذلك الشاب السجين يستدر عطف حافظ السجن فيمنحه سلطة الاتصال بالمسجونين ، بعد ذلك يحدث في نفس الوقت ان يزوج في اعماق السجن رجلان من رجال البلاط الفرعونى بتهمة محاولة دس السم الى فرعون ، ثم يفسر يوسف احلام هذين الرجلين ويتم التفسير حرفياً فيكون ذلك داعياً لظهاره متشجاً بقوة خارقة للعادة ، ثم ينسى رئيس السقاة موضوعه كلية لئلا يحاول ان يصنع له تدبيراً لا يتفق مع ترتيب العناية الالهية ، واخيراً يحلم فرعون حلاً بعد مرور سنتين كاملتين .

قد يمر القارئ او السامع من الكرام على سلسلة الحوادث هذه ويظن ان للصدفة دخلاً كثيراً فيها ، اما المؤرخ المدقق ، المسترشد بروح الله القدوس ، فانه يكشف القناع ويبين - بعد تأكيد وثقة - ان يد الله كانت تعمل في كل ذلك خطوة خطوة لاتمام مقاصده الازلية الصالحة .

لقد تكرر الحلم مرتين لكي يؤكد لا بسط العقول ان حادثاً هاماً منتظر وقوعه . وما ان استيقظ فرعون حتى امتلأت نفسه رعباً وخوفاً فاستدعى جميع الكهنة الذين كانوا يلزمونه دواماً كما استدعى جميع حكمائه وقص عليهم حلمه ولكن لم يكن من

يعبره . وهكذا « جهل الله حكمة هذا العالم » ١ كو ١ : ٢٠

وفي وسط الارتباك الشديد الذى ساد جميع رجال البلاط
الفرعونى نرى رئيس السقاة - وقد تذكر اختبارات السجن -
يتقدم نجاة الى فرعون ويخبره بأمر ذلك السجن العبرانى . فيأمر
فرعون باستدعاء يوسف فوراً « فاسرعوا به من السجن » . ورغم
أوامر فرعون المشددة باستدعائه على جناح السرعة اضطروا قبل
تقديمه اليه للانتظار قليلاً ريثما يخلق شعره ويبدل ثيابه .

لقد كان امراً جوهرياً لدى المصريين ان يراعوا النظافة التامة
وحسن الهندام لدرجة انهم لم يروا بأساً ان تتعطل قليلاً اكثر
المأموريات عجلة وأهمية فى سبيل مراعاة ذلك الامر الجوهري . على
افتنا مع الاسف الشديد بينما نرى هذا الاهتمام البالغ فى مقابلة البشر
بعضهم للبعض نراهم لا يبالون - كثيراً او قليلاً - بمظهرهم امام الله .
وبينما نرى الرجل لا يتجاسر بالدخول على عظيم بملابس قذرة او غير
مرتبه نراه فى نفس الوقت لا يبالى ان كان يدخل بقلب ملوث بكل
نجاسة وشر وفساد

وكم هو جميل ان نلاحظ احترام يوسف البالغ لله فى كل اشاراته
فى مقابلته الاولى لفرعون « ليس لى ، الله يحيب بسلامة فرعون »
تك ٤١ : ١٦ ، « قد أخبر الله فرعون بما هو صانع » ع ٢٥ ،
« الأمر مقرر من قبل الله ، والله مسرع ليصنعه » ع ٣٢ عندما

يكون القلب ممثلاً بالله يلهج اللسان بذكره في كل حين ولا يجد
الانسان في ذلك مشقة أو تكلفاً إذ أنه يصبح من طبيعة اللسان أن
ينطق بذكره في كل مناسبة . فياليت حياتنا الداخلية تزداد امتلاء
من محبة الله وقوته

لم يأف يوسف من ذكر اسم الله وسط الجمع الحاشد من
عابدى الأوثان الذين اكتظ بهم قصر فرعون ، فعلياً أن
لا نجزع من الشهادة لاهنا مهما كان الوسط الذى نعيش فيه ومهما
اشتدت المقاومات والاضطهادات

وإذ اتجهت كل أفكار قلبه نحو إلهه أصبح يسيراً عليه أن
يفسر حلم فرعون

والآن وقد وضع أمامنا تفسير الحلم فأننا لا ندهش لان يوسف
استطاع أن يفسره ولكننا ندهش لأن جميع حكماء فرعون لم
يستطيعوا الوصول الى ذلك التفسير مع بساطته ووضوحه . ولكن
قد يكون الله سمح بأن تطمس بصائرهم لكي تكون هنالك فرصة
لأبراز يوسف الى المركز الذى هيء له منذ حدوثه . وفى هذه
المناسبة — كما فى غيرها من المناسبات الكثيرة — نستطيع أن
نرى تفسيراً لكلمات الوحي الالهى « انك أخفيت هذه عن الحكماء
والفهماء واعلنتها للاطفال . نعم أيها الأب لان هكذا صارت
المسرة أمامك » (لو ١٠ : ٢١)

وفي وسط الأزدحام الشديد في القصر الفرعوني فسر يوسف
الحلم على مرأى وفي مسمع الحكماء والعرافين والسحرة الذين كان
عسيرا عليهم أن يعترفوا بفضل ذلك العبد العبراني عليهم . وقد
كان التفسير معقولا جداً إذ كان منطبقاً على الأحوال العادية
لمصر الزراعية ، ولهذا فإنه لم يجد عناء في اقناع سامعيه بصدق
التفسير .

ولعل ذلك التفسير لم يكسب يوسف نعمة واحتراماً لدى
السامعين أكثر من الخطة الحكيمة والتدبير المحكم اللذين اشار بهما
لامكان اجتياز المجاعة القادمة . ولا شك في أنه عندما كان يسرد
الخطط التي أوحى بها وهي تعيين رجل حكيم يتولى ذلك العمل
الخطير ، وإنشاء إدارة جديدة لجمع مؤونة البلاد لتسد حاجة البلاد
في مجاعتها القادمة ، وتشيد مخازن متسعة في المدن المختلفة لهذه
الغاية — لا شك في أنه كان يتحدث بروح اسمى من روح شخص
كهذا ، كما أنه كان يتكلم بسلطان ملك كل مشاعر فرعون ومستشاريه
حتى أنهم لم يستطيعوا إلا التسليم بكل ما أشار . « فحسن الكلام
في عيني فرعون وفي عيون جميع عبيده فقال فرعون لعبيده هل نجد
مثل هذا رجلاً فيه روح الله » ع ٣٧ ، ٣٨ فياليتنا نحمل معنا روح الله
حتى في أشغالنا العالمية . أنه لا أمر يستحق النعب أن نسعى في
حلب روح الله حتى ولو كنا في أعماق السجون . على أن الله مستعد

أن يهب روحه حتى بدون تعب أو قليل عناء . « اسألوا تعطوا »
أطلبوا تجدوا ، افرغوا يفتح لكم »

وهنا نستطيع أن نجد تفسيراً واضحاً لقول الوحي « إني أكرم
الذين يكرموني » ١ صم ٢ : ٣٠ فإن يوسف عندما فسر الحلم
وقدم نصيحته ولم يكن يفكر قط في أمر نفسه أو في تهينة مستقبل
لشخصه ، قال فرعون لعبيده « هل نجد مثل هذا رجلاً . فيه روح
الله » ثم التفت الى يوسف وقال له « بعد ما أعادك الله كل هذا
ليس بصير وحكيم مثلك . انت تكون على بيتي وعلى فك يقبل جميع
شعبي . الا ان الكرسي اكون فيه أعظم منك . انظر ! قد جعلتك
على كل أرض مصر » ع ٣٩ - ٤١

حقاً لقد كانت رفعة يوسف أمراً عجيباً ، فقد انتقل في طرفة
عين من السجن الى العرش . لقد سبق أن رأينا أباه ينتهره في
أيامه الاولى أما الآن فانتا نرى فرعون — وهو أرفع الملوك في
زمانه — يكرمه . لقد رأينا اخوته يحقرونه ، أما الآن فانتا نرى
اعظم كهنة العالم يرحبون به ويتشفرون بأن يضموه الى صفوفهم اذ
يزوجونه واحدة من بناتهم لكي يكسبوا عطف ذاك الذي ستؤول
اليه أقوى سلطة في البلاد . وتلكم البلدان اللتان كانتا تشقيان في
الخدمة كعبد في بيت فوطيفار ثم كسجين قد تحملتا الآن بالخطام
الملكي . وبعد أن كانت الارجل محز فيها القيود الحديدية اصبحت

السلاسل الذهبية تحلى جبينه . أما ذلك التميمص الملون الذى اقتزع
حنه بقمصة ثم لطخ بالدماء ، وذلك الثوب الذى تركه فى أيدي
الزانية وهرب ، فقد استبدلا بأخر الثياب الملكية . لقد مرت عليه
أيام كان ينظر اليه فيها « كوسخ كل شئ » . أما الآن فقد أصبحت
كل أرض تخضع أمامه . ألا يفسر لنا ذلك باجلى وضوح ترنيمة
حنة أم صموئيل التى انشدت بها على مثال أنشودة القديسة
العذراء مريم :

« الرب يميّت ويحيى

يهبط الى الهاوية ويصعد

الرب يفقر ويغنى

يضع ويرفع

يقيم المسكين من التراب

يرفع الفقير من المذبة للجلوس مع الشرفاء

ويملكهم كرسى المجد »

اصم ٢ : ٦ - ٨

كل هذا تم ليوسف لانه يوماً ما قاوم التجربة ولم يشأ ان يطيعها

هناؤه لو كان قد خضع امام التجربة ربما لم تكن قد صمعا عنه بعد ،
ربما كان قد فتك به ذلك العدو الجبار الذى كل قتلاه اقوياء وانحدروا

الى ظلمات القبر ، وما كان قد تزوج تلك الزيجة وما كانت له زوجة
أو اولاد ، وما كان قد نكل بالمجد والكرامة وما كانت هنالك
فرصة لكي تكون حياته نافعة ومخضبة أو لكي يرى وجه ابيه العزيز
واخوته. حقاً لقد كان خيراً له ان لا يستسلم للتجربة .

فعلينا ان نصمد امام التجارب مهما اشتدت ، علينا ان نطلب
اولاً ملكوت الله وبره ، علينا ان نحرم انفسنا من اللذات الوقتية
لكي نحصد في وقته ، علينا ان نكرم الله باطاعة حتى اصغر وصاياه ،
علينا بالشجاعة لنجسر ان نقول « لا » امام اية تجربة ، والله لن
يتغافل عن عبده ، بل انه يعود ويرحمك ثم « يرفعك لترث
الارض » مز ٣٧ : ٣٤

وعندما ياتي ذلك اليوم لننسب كل شيء الى الله. تأمل في الاسماء
التي دعا بها يوسف اولاده تجدها تعبر عن قرارة قلبه عندما كان
في أوج عزه (مَنَسَى) معناه (مَنَسَى) لأن الله أنساه كل
تعبه ؛ (افرأيم) معناه (مشر) لأن الله قد جعله مشمراً . فيأخى
كن ثابتاً في الحق وثق بان الله لا بد ينسيك كل آلامك وأحزانك
وطول انتظارك ثم يجعلك مشمراً . ثم كن مطمئناً وأخيراً أعطِ الله
الشكر والثناء

(٤) أوجه الشبه بين يوسف ويسوع . لا شك في أن أوجه
الشبه كثيرة. فأن الحوادث التالية تسطع بنورها على الحقائق السابقة .

لقد رفض يوسف من اخوته ، ويسوع رفض من اليهود —
أخوته حسب الجسد

لقد بيع يوسف بعشرين من الفضة الى الاسماعيليين؛ ويسوع
بيع بثلاثين من الفضة بسبب خيانة يهوذا ثم سُلم الى الامم

لقد طرح يوسف فى السجن ؛ وطرح يسوع فى القبر
فى السجن استطاع يوسف أن يكرز ببشارة الخلاص الى رئيس
السقاة ؛ ويسوع نزل الى الجحيم وكرز بالانجيل للأرواح
المنتظرة هناك

أما اللصان اللذان علقا على الصليب فيشبهان رئيس السقاة
ورئيس الخبازين اللذين رافقا يوسف فى السجن

مع أن يوسف كان يهودياً بالمولد ورفض من اخوته الا انه قد
رفع الى اسمى المناصب فى مملكة وثنية وخلص ربوات منها من
الموت ، كذلك يسوع مع انه كان يهودياً بالمولد ورفض من اليهود
الا انه قد رفع الى عرش القوة وهو الآن يملك على قلوب ربوات
من الامم الوثنية الذين قد خلصهم من الموت ووهبهم طعاماً روحياً
لاشباع جوعهم .

وحتى نفس الاسم الذى أطلقه فرعون على يوسف « صفات
فمنيح » ع ٤٥ معناه « مخلص العالم » وهو لقب مخلصنا الصالح .
نعم ويجب أن تتمشى أوجه المشابهة الى مدى أبعد . فكما أن

اخوة يوسف جاءوا اليه ملثمسين الصفح والمعونة بعد أن مكث
زمنًا طويلا يحكم مصر ويباركها ، هكذا ستأتى الايام قريباً التى
نرى فيها اليهود يهرعون الى المسيح اخيهم حتى يخلص كل
اسرائيل .

أيها القارىء العزيز ! تأمل الآن فى يسوع الذى فى يده اعطى
كل سلطان فى السماء وعلى الارض ، الذى باسمه تجثو كل ركبة .
ان كنت للآن لم تجث أمامه ولم تخضع لسلطانه فاعلم بأنه عسير عليك
أن تقاوم سلطانه . اسمع الآب من السماء يقول « أما أنا فقد
مسحت ملكي على صهيون جبل قدسى » مز ٢ : ٦ واسمع الرسول
يصرح « لسكنى تجثو باسم يسوع كل ركبة . . . ويعترف كل لسان
أن يسوع المسيح هو رب » فى ٢ : ١٠ و ١١ لاجل هذا عليك
أن تتصالح معه سريعاً « قبلوا الابن لئلا يفضب » مز ٢ : ١٢

(٥) حاجة العالم الى المسيح :

لقد رأينا كيف ان البقرات السبع النعيفة قد التهمت السبع
البقرات السمينة وكيف ان السبع السنابل الرقيقة ابتلعت السبع
السنابل الممتلئة .

ان هذا المنظر يتكرر كل يوم فى كل مكان . فى كل يوم
نرى الاشياء الضعيفة تلتف التوية ، نرى المخلوقات النعيلة تلتهم
السمينة ، نرى المخلوقات العقيمة تبتلع المثمرة ورغماً من كل ذلك

خلا نرى تقدماً محسوساً . ولا يستطيع ان يدرك المقصود من هذه الكلمات إلا اولئك الذين يعرفون قيمة ما ينفق سنوياً فى الخمر وفى المعدات الحربية ، فى المظاهر العالمية الكاذبة وفى المذات الجسدية . أليس محزناً للغاية ان نرى الملايين تنفق جزافاً فى كل هذه الامور الضارة بينا الطبقة الفقيرة لا تزدد إلا فؤساً وشقاء

واين العلاج ان كانت الحكومات بكل أبطالها وعظمائها وحكامها لم تستطع أن تخفف آلام البشرية وتزيل عنها ما تروح تحته من شقاء واين ؟ ان كان الرب قد سمح بان تجوز مصر فى الضيق فلكى تدرك حاجتها الى يسوع الذى قد يكون مخفياً عن أعينها كما كان يوسف مخفياً عن أعين المصريين قديماً . حينئذ يلتجئ البشر الى كتابهم المقدس لطلب الارشاد وتمتلىء بيوت العبادة بالعابدين ، وحينئذ يملك ذلك الذى كان مرفوضاً من قبل ، وحينئذ تفرح الارض لانه يملك بالعدل .

اخى العزيز ! قد تكون أنت الآن فى ضنك شديد منذ سبع أو بضع سنوات ، وقد تكون الضائقة التهمت كل ما قد ادخرته فى أيامك الاولى . ألم تفكر قط فى السبب ؟ قد يكون السبب انك حولت المخلص من قلبك الى زاوية النسيان . وما دام الحال كذلك فلن يرجى لك تقدم أو نجاح أو سلام . لذلك فاسرع فى طلبه . والتمس منه أن يغفر لك كل السنوات الطويلة التى تغافلت عنه فيها ، اعدده الى عرش قلبك فيعيد اليك ما قد خسرت .

الفصل السابع

حديث يوسف الاول مع اخوته

(تكوين ٤٢)

لا شك في أنه عندما اعتلى يوسف عرش مصر كان مظهره الخارجى ينم عن منتهى الغبطة والسعادة ؛ فقد أعدت له القصور الشاهقة بما احتوته من فراش وثير وخدم وحشم ؛ وهيئت له كل أسباب الراحة والرفاهية

على أنه رغمًا عن تمتعه بكل مظاهر العظمة والسؤدد فلا شك في أنه كانت هنالك بعض العوامل التى تسبب له القلق الدائم . فقد كان يحيط به فى القصر الفرعونى الكثيرون ممن يحسدونه على تلك السلطة التى انتقلت اليه فجأة ، كما كان يحيط به من كل ناحية شعب يكاد يفقد صوابه بسبب اشتداد المجاعة . وفى السبع سنوات الأولى كان يتجول فى أرض مصر ليتفقد عملية بناء المخازن وشراء خمس المحصول حيث قد « أثمرت الأرض فى سبع سنين الشبع

يحزم . فجمع كل طعام السبع سنين ... وخزن قمحاً كرمل البحر
كثيراً جداً حتى ترك العدد اذ لم يكن له عدد « تك ٤١ : ٤٧ - ٤٩ »
ولا بد أن يكون كل هذا قد سبب له كثيراً من القلق اذ لم يكن
يسيراً على شاب كهذا غريب الجنس أن يتمم خطته الواسعة
وأن يحمل شعباً ليس سلس القيادة على تنفيذ تلك الخطط

وبالرغم من كل ذلك فقد كان يوسف في منتهى الكفاءة
للتقيام بهذه الخدمة لأنه كانت هنالك فيه قوة أخرى خارجة عن
إرادته وعن استعداداته ومواهبه وكفاءته الذاتية . فقد كان كما قال
عنه فرعون بحق « رجلاً فيه روح الله » تك ٤١ : ٣٨ . فتي يأتي
الوقت الذي فيه يتعلم البشر أنهم يجب أن يكون فيهم روح الله في
البيع والشراء وفي جميع الأعمال العالمية ، والذي فيه يدركون
أن أنجحهم حتى في الأعمال العالمية هم الذين قد امتلأوا حقاً من
روح الله القدوس

فليت الله يملأنا جميعاً من روح ذلك الشاب الذي حتى عندما
وصل إلى أوج عزه كان يضع الله دائماً نصب عينيه . هذه الروح
لا شك تجعلنا بركة للوسط الذي نعيش فيه ، فان يوسف قد استطاع
أخيراً عندما أنت أيام المجاعة أن يكون أباً لفرعون وأن يخلص
الأرض

كل هذه الأمور قد تطلبت زمناً طويلاً . فقد كان يوسف في

السابعة عشر عندما انتزع من أحضان أبيه . وكان في الثلاثين
عندما وقف أمام فرعون لأول مرة . يضاف إلى تلك المدة سبع
سنوات الشبع وربما سنتان أخريان حتى ابتدأت المخازن يقل فيها
القمح ، ومن ذلك يتضح أنه قد مضت مدة نحو الخمس والعشرين
سنة منذ مأساة الحب حتى حل الوقت موضوع تأملنا الآن . لقد
كانت حياة يعقوب في تلك المدة الطويلة تسير على وتيرة واحدة في
صمت وسكون ، وكلما مضى الزمن كلما ازداد ضعفاً وانحلالاً لا
بسبب الأيام بل بسبب اشتداد وطأة الحزن عليه لفقده يوسف
عزيزه ، لهذا فانه كان يُسكب سكيناً . وكيف كان ممكناً أن ينسى
منظر التقيص الملوث بالدماء !!

وفي نفس الوقت كان اخوته قد تقدموا في الأيام وأصبحت
لهم عائلات كثيرة . والأرجح أنهم لم يتحدثوا مع بعضهم عن
تلك المأساة التي مثلوها بأخيهم أمام الحب . فقد كانوا يبذلون
أقصى ما في وسعهم ليطردوا من مخيلتهم كل ذكريات تلك الجريمة .
كانوا بعض الأحيان يرون في أحلامهم شبح ذلك الشاب في وجهه
الكثيب أو يسمعون صدى توسلانه التي سبق أن رفعها اليهم في
حرارة نفسه ، ولكنهم كانوا يحاولون أن يغرقوا تلك الذكريات
في لجة النسيان ، ذلك لأن الضمير قد نام
على أنه قد أتى الوقت الذي قصد الله فيه أن يستخدم هؤلاء

الأشخاص في تكوين أمة عظيمة . ولكي يعدهم لهذه الغاية كان لا بد أن يكشف لهم قلوبهم ليعرفوا ذواتهم . ولكن كيف يمكن أن يكونوا طاهري القلب طالما كانت تلك الخطية لا تزال متأصلة في قلوبهم . عندما يقصد الطبيب العظيم شافي نفوسنا وأجسادنا أن يشفى أى جرح لا يعالجه من الخارج بل من الداخل . لهذا فقد سلك الرب مع هذه الجماعة بضع خطوات متعاقبة عجبية للوصول لهذه الغاية . وسنرى فيما بعد كيف أن الرب يخضع كل ظروف حياتنا الخارجية لكي يكشف أعماق قلوبنا ثم يعيدنا الى حياة الشركة معه .

وسندرس فيما يلي السبل التي سلكها الله لابقاظ ضمائر هذه الجماعة من سباتها العميق ، ولا شك في أن ذلك يستحق الدرس ، لأنه إن كان هنالك أمر يحتاج اليه جماعة المسيحيين بل يحتاج اليه العالم فهو ضرورة الاقتناع بالخطية . وما أشد حاجة العالم اليوم لبوق القيامة ليطلق الصوت طلياً لابقاظ ضمائر البشر وبعث الخطايا الجاثمة في قلوبهم لكي تقوم من قبورها . لأنه أية منفعة من تقديم المحلص لمن لا يشعر بالحاجة اليه ، ومن ذا الذي يبذر البذار على رجاء الحصاد ما لم يتعمق بالمحراث في جوف الارض .

(١) كانت الخطوة الاولى لأقناعهم بالخطية شدة ضغط الجماعة . لقد عمت الجماعة كل البلاد وشملت أيضاً أرض كنعان . واتباعاً

للسوابق التي كان فيها سكان كنعان ينزحون الى أرض مصر أيام
المجاعات نرى يعقوب ينهض هم بنيه بعد أن استولى عليها الياأس
ويقول لهم « لماذا تنظرون بعضكم الى بعض . إني قد سمعت أنه
يوجد قمح في مصر . انزلوا الى هناك واشتروا لنا من هناك لنحيا
ولا نموت . فبذل عشرة من إخوة يوسف ليشتروا قمحاً من مصر »
تث ٤٢ : ١ - ٣

عندما كانت البلاد في رخاء لم يحزن إلا يعقوب ، أما رؤوبين
وشمعون والباقيون فلم يجدوا مبرراً للحزن . ولكن عندما حلت بهم
المجاعة فتفتحت قلوبهم وحانت الفرصة لكي يؤهلوا لبعض
الاختبارات الروحية التي لم يكونوا يحلمون بها قط . نعم وحانت
الفرصة لكي يلتقوا يوسف

وهذه هي معاملة الله لنا نحن أيضاً . فانه يكسر قوام الحياة
ويلاشي موضوع اعتمادنا ويرسل مجاعة شديدة لتبدد الحنث
والزرع . لكي تهيب لنا الفرصة في ذلك الوقت — وقت الحزن
والخيرة والارتباك — للاعتراف بخطايانا وقبول كلمات المسيح التي
ينادينا بها قائلاً « تعالوا الى يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال
وأنا أريحكم »

أيها القارئ العزيز ! هل تجوز أنت الآن في مجاعة ، هل
توشك مواردك أن تنضب ، وهل تنظر الى المصائب التي تحل بك

يعين اليأس والقنوط ؟ تشجع فأنما كل هذه الظروف قد حلت بك
لكي تقودك الى المسيح والى حياة أفضل . فما لا شك فيه أن
هؤلاء الاخوة عندما تأملوا فيما بعد في أيام الضيق والمجاعة هذه
نظروا اليها كأفضل الأيام التي مرت عليهم في الحياة لانه لم يكن
ممكناً لأى شيء آخر أن يأتى بهم الى يوسف . ومما لا شك فيه
أنه سيأتى اليوم الذى فيه تشكر الله من أجل ما مريك من مصائب
وأحزان ، وعندئذ تستطيع أن تقول « قبل أن أذل أنا ضلت .
أما الآن فحفظت قولك » من ١١٩ : ٦٧

(٢) اما الخطوة الثانية فقد كانت الخشونة التي استقبلهم بها
يوسف . ويظهر انه كان يشرف بنفسه على عملية بيع القمح في بعض
الاسواق الكبيرة . وربما كان ذهابه بقصد خاص لعله يبصر احد
الاسماعيليين الذين قد ارتسمت صورتهم في مخيلته ، او لعله يسمع
بعض الاخبار عن بلاده وعن بيت ابيه . او ربما كان يترقب او
يصلى بان يحضر اخوته اليه . واخيراً حل اليوم المنتظر .
فقد كان في احد الايام واقفاً كعادته منشغلاً بالاشراف على حركة
البيع والشراء ، واذا به يبصر على حين غفلة اولئك الرجال العشرة .
وحالما وقع بصره عليهم خفق قلبه ولم يجد حاجة للتأكد من
شخصيتهم اذ انه « عرفهم » ع ٧
اما هم فقد كان طبيعياً ان لا يعرفوه . وكيف يتسنى لهم ذلك

وقد صار رجلاً في عنفوان قوته في الأربعين من عمره بعد أن تركوه في السابعة عشرة . لقد رأوه الآن في حال من العظمة والمجد وقد تركوه مجرداً حتى من قميصه القروي البسيط . لقد رأوه متسلطاً على كل أرض مصر وقد كانوا يتوقعون أن يلتقوا به (لو كان ذلك قد خطر ببالهم ، ولا شك أنهم تذكروه حال دخولهم البلاد) ضمن العبيد الذين يفلحون الأرض أو العمال الذين كانوا يسخرون في تشييد الأهرامات .

وعندما مثلوا في حضرته « سجدوا له بوجوههم إلى الأرض » ع^٦ وبذلك تمموا حرفياً ذلك الحلم الذي رآه في حديثه وهم لا يدرون .

أما يوسف فقد أدرك في الحال أنهم لم يعرفوه . ولذلك « تنكر لهم » ع^٧ لكي يعرف أن كانوا قد ندموا على خطيتهم ، ومن الناحية الأخرى لكي يعرف سبب تخلف بنيامين عن رفقتهم . ثم « تكلم معهم بجفاء » ع^٧ واتهمهم بأنهم جواسيس ع^٩ ورفض أن يصدق كلامهم وأمر بأن يزجوا في أعماق السجن حتى يفحص أمرهم ثم « أخذ منهم شمعون وقيدته أمام عيونهم »

وأنني اعتقد بأن يوسف في كل ذلك قد كرر تماماً نفس المنظر الذي حدث عند الحب . فأنهم عندما رأوه يقترب منهم هجموا عليه واتهموه بالتجسس عليهم لنقل أخبارهم وتصرفاتهم الرديئة

لا يبيهم كما فعل من قبل ، وهذا يفسر لنا سبب اتهامه اياهم الآن بانهم جواسيس . لا شك في أن الصبي أكد لهم بانه لم يكن جاسوساً وانه انما حضر لكي يفتقد سلامتهم أما هم فقابلوه بخشونة وغلظة وهي نفس الخطة التي سلكها الوالى معهم الآن . وربما يكونون قد دفعوه في الجب ليبقى فيه حتى يتحققوا صدق كلامه . كما فعل معهم يوسف الآن ، وقد يكون شمعون هو رأس العصابة . فان كان الامر كما ذكر — ولعله كذلك — فان كل تلك الظروف كانت كافية لتحريك ضمائرهم وذكرياتهم .

لعلكم تتذكرون رواية هملت وكيف أن عم هملت عندما قتل أخاه أى والد هملت وملك الدانمارك وكان ذلك سراً ، افترض السر وعرف الامير الشاب ما استتر ، وأمر بتمثيل جناية التقتل بصمت وسكون أمام الملك والملكة وضيوفهما . ولم يكدهم القوم بفرغون من تمثيل الرواية حتى تحرك ضمير الملك ولم يطق لظى نيران الضمير القاسية وقام عن عرشه وخرج من غرفته وهو يقول :

بالشناعة جرمي ، فقد صعدت رأبحتي الى السماء

ولقد استحق اللعنة الأولى التي انصبت

على قاتل الانسان الاول لآخيه الانسان

ولا شك في أن هؤلاء الأخوة أيضاً عندما انفرد كل منهم في حجرته في السجن وتأمل في المعاملة القاسية التي عومل بها قد

تذكر تلك النسوة التي عاملوا بها ذلك الشاب البريء منذ سنوات طويلة.

وتذكرنا هذه الظروف بمحادثة أخرى في العهد القديم . فان امرأة صرفة عندما مات ابنها صرخت في وجه إيليا النبي قائلة « هل جئت الى لتذكير إثمى وإماتة ابني » مل ١٧ : ١٨ . لقد حاولت تلك المرأة أن تتغاضى عن إثمها وتطرحه في بحيرة النسيان . ولكن موت الطفل قد أعادها وأعاد كل ذكرياتها إلى ذاكرتها ، فتمثلت أمامها الخطيئة ، وهي لم تتذكر لذة الخطيئة لان هذه كانت قد مضت وانتهت ، بل تذكرت مرارتها

ان الذاكرة عملاً عظيماً وعجيباً في الانسان فانه بها يسجل الحوادث ثم يستعيدّها فيما بعد ولولاها لبقى العقل صفحة بيضاء تمر عليها الحوادث دون أن تترك عليها أثراً كما تمر الصور أمام المرأة . ومع أهمية هذه القوة العجيبة في الانسان فانها تؤدي عملها في سر وفي لغز دون أن يدرك الانسان شيئاً من أسرارها

على أنه ان استطاعت تلك الذاكرة أن تحتزن كل ما يمر بها من مناظر ومن حوادث فاننا لا نستطيع أن نتذكر كل شيء في كل حين . ولكن قد تقع العين أو تسمع الاذن امرأ من الأمور أو جزءاً من الاخبار فتستعيد الذاكرة إحدى الحوادث القديمة مما لها علاقة بهذا الأمر . كذلك الحال في أمر الخطيئة ، فقد تكون أيها

للقارئ ارتكبت خطية منذ سنوات طويلة وحاولت أن تتناساها وربما تكون قد أفلحت في ذلك ولكن ثق بأنها لا زالت محتزنة طالما أنها لم تغفر ، وقد يعيدها إلى ذاكرتك أفقه الأمور فتبصر شبحها جائئاً أمامك كأنك قد ارتكبتها بالأمس فقط . أما إن كانت الخطية تغفر فإنها تنسى تماماً كما يقول الله « لا أذكر خطيتهم » جم ٣١ : ٣٤ وأما إن كانت تنسى دون أن تغفر فقد تعود إلى الذاكرة في أى وقت وتسبب انزعاجاً لا يحتمل

هكذا كان الحال مع أخوة يوسف فانهم عندما طلب منهم ذلك الحاكم الغريب الجنس بيئة على أنهم ليسوا جواسيس « قالوا بعضهم لبعض حقاً أننا مذنبون إلى أخينا الذى رأينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع . لذلك جاءت علينا هذه الضيقة » ع ٢١

(٣) وأما الخطوة الثالثة فقد كانت أعطاهم فرصة في السجن ليصفوا لروح الله الذى يتحدث اليهم في هدوء السجن . لو لم يكن روح الله هو المرشد وهو المقنع لكافوا قد أدركوا أنهم إنما قد ارتكبوا خطأ في حق أخيههم دون أن يدركوا إثم هذا الخطأ . انه لا يكفى أن نعرف أن الخطية نقص وخطأ بل يجب أن ندرك سما فيها من إثم وجرم . وهذا هو ما يستطيع روح الله القدوس وحده أن يرشد إليه . هو وحده الذى يبكى على خطية . وعندما يعمل

فى القلب تصرخ النفس قائلة « ويحى أنا الانسان الشقى »
(أو الخاطيء) « حقاً أننا مذنبون الى أخينا »

ايها القارىء ! هل تجد فى هذه الكلمات رسالة خاصة لنفسك ؟
هل انت حقاً مذنب ؟ قد تكون فى ايامك الاولى اسأت الى شخص
ما - رجلاً أو امرأة - قد تكون سبياً فى ان يتعلم احد الاولاد خطية
الحلف . أو قد تكون اهمات فى أمر خلاص اولئك الذين أوكلهم
الله لعنايتك . وانت ترى الآن بعض الناس يعاملونك كما حاملة
غيرك فى القديم . وانت الآن تطلب الخلاص لانك تدرك مرارة
هذه الناس بك أو اساءتهم اليك أو متاومتهم ايك . وانت اذ تدرك
ذلك تتذكر الماضى اذ يعود اليك بكل ما فيه من مرارة . لهذا
فانك تصرخ الى الله قائلاً « اللهم اغفر خطيتى . اننى حقاً مذنب
الى تلك النفس التى قد خدعتها أو اسأت اليها » . وهذا هو عمل
روح الله القدوس . فدعه يتمم عمله المقدس فى قلبك ولو طال
الامد .

على انه لابد ان يكون هنالك على الاقل اخ قد اسأت اليه .
هل تحتاج الى ذكر اسمه ؟ انه لا يخجل من ان يدعوك اخاً ، اما
انت فطالما خجالت منه . انه لم يتردد عن ان يصاب لاجلك ، واما
انت فلم يخطر ببالك ان تقدم الشكر اليه . انه لم يفتر لحظة عن ان
يقرع باب قلبك لعلك تقبله فيبارك حياتك ، أما أنت فقد تركته .

واقفاً في ندى الليل . انه قد منحك المواهب العظمى الثمينة مجاناً ،
أما انت فقد دستها تحت قدميك وعاندته وصلبته لنفسك من جديد
لا شك في انه لا بد ان يأتي اليوم الذي فيه يقول اليهود عن
ذاك الذي رفضوه وسلموه للموت « حتماً أننا مذنبون الى اخينا »
على ان هذه الكلمات ينبغي ان يرددها ايضاً الكثيرون منا بكل
أسف وحزن

ولما قال هؤلاء الاخوة ذلك الكلام كان يوسف واقفاً
بالقرب منهم . ولكن لانهم « لم يعلموا أن يوسف فاهم » فانه لم تبدُ
على وجوههم أو في عيونهم علامات التأثر . كم من النفوس المثقلة
بالحزن والخطية تذهب الى الكهنة وتقص عليهم ما جرى منها
وهي لا تعلم أن ذاك الرقيب واقف بالقرب منها يسمع ويفهم
كل شيء .

وفي ع ٢٤ نجد شيئاً من التناقض الغريب . فيينا نقرأ عن
يوسف انه « تحول عنهم وبكى » . نعود ونقرأ في الحال انه « أخذ
منهم شمعون وقيدته أمام عيونهم » . وطبعاً أن الاخوة لم يشهدوا
إلا هذا المنظر الاخير ومنه حكموا أنه قاس غليظ القلب . ولهذا
فانه لا بد أن تكون قلوبهم قد امتلأت رعباً وخوفاً . ذلك لانه
قد خفي عن ادراكهم ذلك القلب الممتلئ رقة وعطفاً ومحبة ، الذي
كان يخفي في داخله وراء تلك القسوة الظاهرية . كما انه لم يكن

ليخطر على بالهم قط ان حجز شمعون كان بمثابة خيط حريرى قصد يوسف أن يجذبهم به الى نفسه ، وكان خطوة ضرورية لاتمام عملية تذكيرهم بأخيهما الآخر الذى سبق أن فقدوه منذ سنوات طويلة .

وهذا هو نظام الحياة فى كل حين . فنحن نتحمل الآلام المريرة فى هذه الحياة . قد نسجن أو نتحمل الخسائر الجسيمة أو الالهات الشديدة ثم نحسب الله قاسياً وبلا رحمة . ونحن قلما ندرك كيف انه فى ضيقنا يتضايق ، أو كيف يمتلىء قلب ذلك الاخ حزناً فى كل مرة يتنكر لنا ويعاملنا بقسوة . ونحن لو كشف عنا الحجاب لنرى عطفه وحبه ورقته التى يستتر وراءها غضبه لامتلات قلوبنا ثقة بأننا لا شك محفوظون فى غضبه كما فى رضاه .

على انهم قد وجدوا أيضاً راحة فى متاعبهم . فعدهم قد ملئت قحاً ، ثم منعوا زاداً للطريق حتى لا يمسوا ما حملوه من قح ليتهم ، وفضة كل واحد قد أعيدت فى فم عدله ع ٢٧ . كل ذلك كان من مظاهر المحبة الشديدة ، ولكنهم حينما عثروا على فضتهم فى عدلهم امتلات قلوبهم رعباً وخوفاً . ان الضمائر الآثمة تسيء فهم وتقدير أعظم البركات التى يتحنن بها الرب علينا ، وبسبب فسادها تمتص السم من الدسم . كم من مرة نصرخ مع اولئك الرجال « قائلين ما هذا الذى صنعه الله بنا » ع ٢٨ وتمتلىء قلوبنا خوفاً

في الوقت الذي تنهال علينا فيه بركات الله التي من أجلها كان يجب
أن نفرح ونسر كل أيام الحياة .

فلنشق إذاً بانه لن يصيبنا شيء في الحياة مهما كان قاسياً دون
أن ننال عنه الجزاء . ولنتطلع الى ما وراء الحجب لنرى ذلك
القلب المتلىء حباً يتدفق عطفاً من نحونا . وفي وسط تأديباته يخلع
علينا بعضاً من عرايين محبته لكي يحفظ القلب من ان يتلعه اليأس
الكامل .

لا تحكم على أعمال الله بحواسك الناقصة
بل كن واثقاً في رحمته ومحبته
فانه وراء غضبه وسخطه
يخفي وجهاً باشاً ومبتسماً



الفصل الثامن

حديث يوسف الثانى مع اخوته

(تكوين ٤٣)

انها لمأمرية شاقة ان نتأمل فى كل دقائق وتفاصيل هذه القصة ، ولهذا فسنكتفى بالتأمل فى اهم حوادثها

وسنبدا هذا الفصل بالتأمل فى ذلك المنظر الغريب الذى نرى فيه يوسف يأمر بان يخرج عنه كل انسان ويتواضع جداً وينزل عن عرشه ثم يعافق أخوته ويبكى . ثم لتأمل فى موضوع آخر - ولو كان أقل أهمية - لتأمل فى الخطوات التالية لهذا المنظر التى أدت الى مجيء العائلة المقدسة الى مصر وصفح يوسف عنها وبركته لها . وليعطنا الروح القدس بصيرة مستنيرة لكي نتعمق فى فهم هذه الحقائق لان يوسف الذى قد ارتفع من السبجن الى العرش ان هو الا صورة واضحة لذاك الذى بعد أن رقد فى القبر ارتفع عن يمين الآب ليعطى توبة لاسرائيل ومغفرة الخطايا . ونحن اذ

تأمل في الخطوات التالية التي بها قرب يوسف اخوته اليه قد ندرك الخطوات التي يتخذها المخلص لكي يخضع نفوسنا حتى يقربنا اليه .

لعل هذه الكلمات يطلع عليها بعض الاشخاص ممن يعدشون في هذا العالم القفر وهم لا يفكرون الا في الامور المنظورة وفي الخطية ولا يعامون شيئاً عن اخيهم الاكبر الجالس على العرش يفيض قلبه حباً من نحونا . رجائي من هؤلاء أن يقرأوها بل يدرسوها ويدققوا البحث فيها لانها تنير بعض خفايا الظلام في حياتهم وقد توضح لهم بعض ما غمض عن أعينهم في الحياة :

(١) لقد ضيقت المجاعة الخناق على يعقوب وبنيه تك ٤٣ : ١ لم يكن ممكناً أن تتجه أنظار يعقوب الى مصر لو لم تكن المجاعة قد اكتسحت أرض كنعان أيضاً . ولقد حملت هذه المجاعة أولاده لينزلوا الى مصر ليشتروا قمحاً . وحتى مع حجز شمعون لم يكن ممكناً أن يفكروا في العودة الى مصر لولا شدة ضغط المجاعة التي طالما أخرجت الانسان والحيوان عن طبيعته . وفي أول الأمر قاوم الوالد الشيخ فكرة أخذ بنيامين معهم أما ابتناؤه فقد اصرروا على طلبهم .

وتحت الحاح أبنائه الشديد رضخ أخيراً بأن يسلمهم بنيامين بعد أن أشار عليهم بأخذ هدية معهم الى الوالى ليستعطفوه .

ويستميلوا قلبه تك ٤٣ : ١١ واعادة ضعف الفضة التي ردت اليهم
في أفواه عدالهم ع ١٢ وأخيراً زودهم بصلاة حارة الى التقدير
ليرحاهم بعين عنايته ع ١٤ . وهكذا رأينا الله برحمته قد أغلق
كل باب آخر ولم يبق أمامهم مفتوحاً سوى ذلك الباب الواحد
الذى منه يدخلون لكي يثمروا ويكثروا . فلم يكن هنالك أمامهم
الا أن ينزلوا الى مصر .

وهكذا الحال معك فى الحياة أيها القارئ العزيز . قد يكون
متوفراً لديك كل ما تشتهييه فى الحياة من صحة ومال وجمال وشباب
ونجاح . ولكن ما هى حالة قلبك ؟ هل فكرت يوماً فى الاساءات
المتكررة التى توجهها الى أخيك الأكبر ؟ هلا وجهت افكار
قلبك وأشواقك الى فوق ؟ هل أنت تعيش للحياة الباقية ؟ أنت
تعرف نفسك جيداً وقد تكون مقصراً فى كل ذلك ، لهذا فقد
أرسل الله المجاعة أو المجاعات فخرمتك من كل عزيز ، قد تكون
الخصائر حلت بك فى مركزك أو فى مالك أو أصدقائك أو صحتك
أو بنيك . قد تكون فقدت يوسف ثم عدمت شمعون وقد يكون
بنيامين أيضاً على وشك أن يؤخذ منك . فاذا تلفت يميناً أو يساراً
وجدت كل شىء ضدك .

أيها العزيز : ان التيار اقوى من ان تستمر فى مقاومته . عند
بدء هبوب العاصفة قد تقف موقف المعاند وتابى الرضوخ والتسليم

ولكن احذر فانها خطية مميتة ان تقاوم محبة الله . ولقد جرب يعقوب ذلك عندما جاهد مع الله فانخلع حق نخذه . أن الله لا بد متم امره أخيراً إن لم يكن أولاً . وإن المجاعة لا بد ان تستمر بل تشد حتى يعود الابن الضال الى ابيه نادماً وتائباً . عبثاً يحاول ربان السفينة تخليصها إلا اذا عاد النبي الهارب (يونان) الى بلاده التي هرب منها . . لهذا يقول الله « لاني لافرايم كالاسد وليت يهوذا كسبل الاسد . فاني انا افترس وامضى وأخذ ولا منقذ . اذهب وارجع الى مكاني حتى يجازوا ويطلبوا وجهي . في ضيقهم يبكرون الى » هو ١٤: ٥ و ١٥ فليتك تجيب كما اجاب النبي بعد ذلك مباشرة « هلم نرجع الى الرب لانه هو افترس فيشفينا . ضرب فيجبرنا » هو ١: ٦

(٢) وهنا استيقظ الضمير . لقد مضى نحو العشرين عاماً والضمير نائم . وطالما كانت الحال كذلك فلن يمكن أن يكون هنالك سلام حقيقي بين يوسف وإخوته . فلم يكن ممكناً أن يتقوا بأنه قد صفح عنهم ، وهو كان يشعر دواماً بأن هنالك بعض السدود في مجرى محبته . لهذا فانك لا تستطيع أن تحس بالراحة الكاملة من جهة صديقك طالما كان هنالك ولو أثر لسوء التفاهم بينكما . من أجل هذا يجب أن يستيقظ الضمير ويعترف بخطاه

ويتوب عنه . وهذا هو المفتاح الذى به نستطيع أن ندرك تصرفات يوسف .

فانه لى يوقظ ضمائرهم النائمة كرر على قدر استطاعته نفس التصرفات التى سبق أن سلكوها نحوه . وقد سبق أن تأملنا ذلك فى الصحائف السالفة . فانه قال لهم « جواسيس أنتم » وهذه صدى تلك الكلمات القاسية التى سبق أن وجهوها نحوه . أما السجن الذى حُجزوا فيه ثلاثه أيام فكان يقابل الجب الذى طرحوه فيه . لعل أحسن الطرق لنعرف حقيقة ضرورتنا وآثامنا هى أن نتأمل فى تصرفاتنا مع الآخرين . ولقد نجحت الخطة التى سلكها يوسف وأنت بالغرض المقصود . اسمع ما رددوه فى تأوهاتهم « حقاً أننا مذنبون الى أخينا »

وهنا أيضاً نجد مفتاحاً لكشف اسرار الحياة ومشاكلها . فان الله يسمح فى بعض الاحيان أن نعامل كما عاملناه لى نستطيع أن ندرك أثمنا على حقيقته فنرجع اليه بالتوبة وطلب المغفرة . قد يكون ابنك فسد وتحول عن الطريق الصالح المستقيم الذى أردته له ولم تفلح معه كل الوسائل التى اتخذتها قبله . هل تدرك ما فى ذلك من مرادة . ربما يكون ذلك ملفتاً نظرك الى شعور الله من نحوك فانك رغم وسائل النعمة الكثيرة التى قد اتخذها معك قد تمرت عليه . ربما يكون أخوك قد وقع فى ضيقة وطلب منك بالحاح شديد

أن تمدّه بمساعدة على أن يردّها اليك ربّاً ؛ أما الآن وقد أصبح
فى يسر ورخاء فإنك تطلب منه أن يرد اليك ما سبق أن اقترضه
ولكنه إما أن يقابلك بالتسويق أو بالهزء والاحتقار . هل تدرك
ما فى ذلك من مرارة ؟ يجب أن تعرف شعور الله من جهتك بعد
أن أسعفك فى ضيقك فقطعت معه الكثير من العهود وفذرت
له الكثير من النذور ولكنك الآن قد تعوجت وعبثاً يحاول
الله أن يذكرّك بكل احساناته لك فى الماضى

أنت تعرف معنى وقوفك على باب أحد أصدقائك يوماً بعد
يوم موقف المطالب بدون جدوى . هل تدرك ما فى ذلك من مرارة ؟
يجب أن تعرف أن هنالك من يقف على باب قلبك — ربما منذ
سنوات طويلة — وهو يقرع يرجو الدخول لكى يغنى حيائك .
أن ذلك القلب الذى لا توقظه كل هذه الأصوات لا بد أن
يكون مستغرقاً فى نومه

(٣) تأمل فى مظاهر حب يوسف العميق لهم . فانه حالما فرغ من
اختبارهم دعاهم لتناول الطعام معه على مائدته . ولما دخلوا بيته قوبلوا
فيه بكل مظاهر الحفاوة والأكرام كأنهم لم يكونوا رعاة أغنام
فقراء بل قوماً من عظماء البلاد . أما مخاوفهم بسبب الفضة التى
ردت اليهم فى عدالهم فقد بددها ذاك الرجل الحكيم التقي الذى
على بيت يوسف إذا كد لهم بأنهم إن كانوا قد وجدوا فضتهم فى

في عدالهم فانما هي عطية من الله كما أكد لهم بان ثمن التمتع الذي أخذوه قد وصل اليه ع ١٨ — ٢٣ وحالما دخل يوسف خروا أمامه ساجدين إتماماً لذلك الحلم الذي رآه في حديثه . ثم سألهم عن سلامة أيهم ، ولا شك في أنه استعمل في حديثه مع بنيامين لهجة خاصة كانت كافية بان تكشف لهم سر الأمر كله لولا أنهم لم يكن يدور بخلداهم أن يروا يوسف في هذا الحاكم المصرى العظيم .

في هذه الأثناء كان قلب يوسف يخفق بشدة في داخله واستمر خفقانه في ازدياد حتى لم يستطع أن يضبط نفسه وكاد ينفجر أمامهم لولا أنه أسرع في الاختفاء عنهم « واستعجل يوسف لأن أحشائه حنت إلى أخيه وطلب مكاناً ليكي . فدخل الخدع وبكى هناك . ثم غسل وجهه وخرج وتجلد . وقال قدموا طعاماً » ع ٣٠ و ٣١

وهذا المنظر قد نراه يتكرر أمام أعيننا اليوم . فان ذلك الاخ الاكبر الذي رُفض من اخوته ، قد يتظاهر بأنه غريب عنا ويتظاهر بالتسوة علينا . ثم قد يسبب لنا بعض الآلام والأحزان . وقد يقيد شمعون أمام أعيننا . على أنه رغباً عن كل ذلك فانه يحبنا محبة دونها محبة كل الآباء لا بنائهم ومحبة كل الاصدقاء لاصدقائهم متجمعة . وهذه المحبة لا زالت تحاول أن تظهر نفسها . فقد تضع



يوسف وبنيامين يتلاقيان اخيراً

خضة في عدالتنا ، وتدعونا لبيتها وتولم لنا الولائم ، وتوعز لوكلائها
بالترحيب بنا ، وتفعل أقدامنا ، وتطلب لنا من الله كل نعمة

(٤) وهناك نخطمت كل ثقتهم في أنفسهم . فانهم ظنوا أن
الاخبار التي سيقصونها عن تاريخ طائفتهم ستعلن براعتهم ولكن
يوسف رفض تصديقها وطلب منهم أن يثبتوا صحتها . ثم أنهم كانوا
مطمئنين بسبب الفضة التي اتوا بها وظنوا بانها ما دامت في أيديهم
فان ذلك الحاكم لا يسئ الظن بهم ، ولكنهم حالما خرجوا من
البلاد في طريقهم الى وطنهم « فتح أحدهم عدله ليعطى عليقاً لحماره
في المنزل فرأى فضته واذا هي في فم عدله . فقال لاختوته ردت
خضتي وها هي في عدلي . فطارت قلوبهم وارتعدوا بعضهم في بعض
قائلين ما هذا الذي صنعه الله بنا » تك ٤٢ : ٢٧ و ٢٨

وهذا هو نفس ما يحدث كل يوم مع الخطاة ، فانهم اذ يريدون
أن يتصلحوا . مع الله يحاولون أن يفعلوا ذلك بمجهودهم الشخصي .
وهم في ذلك يشبهون قايين الذي أتى بقربان من صنع يديه ،
ويشبهون الفريسيين الذين يأتون لله بصلواتهم وعشورهم وتقدماتهم ،
ولكنهم حالما يقدمون تقدماتهم الى الله يدركون أنها لا قيمة لها
وانها قد « ردت اليهم » . نعم فان رحمة الله التي هي طعام الروح
الحقيقي لا تشتري ولا تقدر بمال ، بل يجب أن تنال عطية مجانية
من الله . قال يعقوب لاولاده عن رد الفضة « لعله كان سهوا »

ع ١٢ ولكنه لم يكن كذلك بل كان حلقة من خطة حكيمة وضعت
 لقصد خاص ، لانه لا شيء من السهو أو الصدفة في حياة الانسان
 ثم أنهم كانوا واثقين في نزاهتهم . عندما هموا للرحيل لبلادهم
 للمرة الثانية وكانوا يجهلون ما خبيء في عدل أحدهم كانوا فرحين
 بعودة شمعون وبنيامين معهم رغم القلق الشديد الذي استحوذ
 على نفس أبيهم الشيخ . ثم أنهم كانوا مقتبطين بسبب ما وجدوه
 من نعمة في عيني الحاكم وإلا لما كان قد أولم لهم تلك الوليمة
 الفاخرة في اليوم السابق . وفوق هذا وذاك فقد كانوا مقتبطين
 لان عدالهم قد ملئت على قدر ما يمكن أن تسع . على أنهم لم يكادوا
 يغادرون أبواب المدينة حتى بوغتوا بسماع صوت و كيل يوسف قفوا !
 قفوا ! « لماذا جازيتم شراً عوضاً عن خير » فاجابوه « لماذا يتكلم
 سيدى مثل هذا الكلام ... هوذا الفضة التي وجدنا في أفواه عدالنا
 رددناها اليك ... فكيف نسرق من بيت سيدك فضة أو ذهباً » واذ
 كانوا واثقين جداً من نزاهتهم استمروا في حديثهم قائلين « الذي
 يوجد معه من عبيدك يموت . ونحن أيضاً نكون عبيداً لسيدى »
 وهكذا « استعجلوا وأنزلوا كل واحد عدله الى الارض وفتحوا كل
 واحد عدله » وابتدأ الرجل يفتش عدالهم على قارعة الطريق مبتدئاً
 من الكبير الى الصغير « فوجد الطاس في عدل بنيامين » وحسناً
 فعل يهوذا واخوته إذ أتوا الى بيت يوسف وسقطوا أمامه على

فوجد الطاس في عدل بنيامين





الارض قائمين » ماذا نقول لسيدى ؟ ماذا نتكلم ؟ وبماذا نتبرر ؟
الله قد وجد اثم عبيدك « لقد تجردوا من كل بقية للنقة بالنفس
ولم تبق لهم بارقة أمل في النجاة إلا في رحمته .

ان البعض يشبهون بنيامين . فانهم يبدون امامنا بلا لوم ولا
خطية ومثلهم في ذلك مثل ذلك الشاب الذى احبه يسوع الذى جاءه
منتهزاً بانه بلا خطية وقد حفظ الناموس منذ حداثة . امثال
هؤلاء نعدهم نحن كما يعتبرون هم انفسهم مبررين وبلا خطية ولكنهم
ان كانوا يظهرن امامنا صالحين فلاننا نقارنهم بالخطاة الذين هم
اعرق منهم فى الخطية . اما ان كنت تقيسهم بالمقياس الكامل
اتضح لك بانهم يستحقون دينونة الله الكاملة . « لو اغتسلت فى
الثالج ونظفت يدي بالاشنان فانك فى النقع تغمسنى حتى تكرهنى
ثيابى » اى ٩ : ٣٠ و ٣١ . فالتلميذ عندما يقارن خطه بخط غيره
من زملائه قد يعتقد ان خطه حسن ولكنه ان قارنه بالانموذج
الموضوع امامه تبين له قصوره وردائه . وكمن البشر يعتقدون
فى انفسهم الطهر والعفاف لان عيونهم قد اغمضت ولا يبصرون
قداسة المسيح . هؤلاء يجب ان يعرفوا بانهم خطاة لا يفرقون
عن غيرهم من الخطاة الائمة . فان بنيامين قد تساوى بشمعون
ويهوذا اذ وجد الطاس فى عدله

كان احد خدام الله يتحدث مرة مع سيدة تعتبر من فضليات

قومها . وفي اثناء الحديث اخبرها بانها في مسيس الحاجة الى بر
المسيح . اما هي فاجابت : اننى ياسيدى لا أتاخر مرة واحدة عن
الكنيسة ، اداوم على قراءة كتابى المقدس كل يوم ، افعل الخير
للآخرين ، لا أتاخر عن اى واجب اراه ضرورياً ، فهل تعنى ان
كل اعمالى هذه لا قيمة لها في نظر الله . فقال لها : لا يمكنك
الحصول على بر المسيح ان كنت تتمسكين ببرك الذاتى . وقد كان
منظراً مؤثراً جداً ذلك الذى بدت فيه هذه السيدة اذ تغير وجهها
خفاة . ذلك لان الطاس وجد في عدل بنيامين . فقد اطرقت ملياً
وبدأت تفكر في الصراع الذى قام في داخلها . واخيراً انهمرت
الدموع من عينيها ثم رفعت عينيها الى السماء وصرخت قائلة : ربى
والهى ان اعمالى كلها كلاً شيئ قد امك . وفي لحظة جثت على ركبتيها
وصلت وقبلت الرب يسوع مخلصاً شخصياً لها . حقاً انه حالما يوجد
الطاس في عدل بنيامين يرجع اليه ويجثو عند قدميه

ايها القارىء العزيز . تأمل في عدلك فقد يوجد طاس مسروق
مهما اشتهرت بالطيبة والتقوى والصلاح . ربما تجهل انت وجود
هذا الطاس ، وربما كنت ممن يفتخرون بحياتهم الطاهرة ، وربما
كنت متوهماً بان المسيح راض عن حيائك . ولكنك لو تأملت
قليلاً لتبين لك بانك قد سلبته ما له . فانك تستخدم لمصلحتك
الشخصية ما وهبك من مال ووقت ومواهب اخرى غير عالم بانه

فإنما قد اشتراها لك بدمه الثمين لكي تستخدمها فيما يؤول لتمجيد
اسمه القدوس . واعلم بانك ان كنت تنغافل عن نقائصك فان الله
ليس بغافل عنها فانه « فاحص القلوب والكلى » مز ٧ : ٩
« الاول فى دعواه محق ، فيأتى رفيقه ويفحصه » ام ١٨ : ١٧

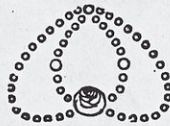
فكيف العمل إذا :

(أولاً) لا تتوان « لاننا لو لم نتوان لكننا قد رجعنا الآن
مرتين » تك ٤٣ : ١٠ لو لم تتوان لكنت الان قد صرت
مسيحياً غيوراً سعيداً . ولوط لما توانى أمسك الرجلان بيده
تك ١٩ : ١٦ فاسرع أخى ولا تتوان قبل أن يغلق الباب
وبعدئذ لا يمكن أن يفتح

(ثانياً) اعترف اعترافاً تاماً بكل خطاياك . « فتقدموا الى
الرجل الذى على بيت يوسف وكموه » ع ١٩ واخبروه عن كل
ما يختص بالشورى على الفضة وردوها كاملة . فتعال الآن أخى ،
الآن ، قبل الفراغ من قراءة هذه الكلمات ، وتحدث مع يسوع
واخبره بكل ما فى قلبك . رد اليه أو للآخرين ما سلبته منهم بغير
حق « لما سكت بليت عظامى من زفيرى اليوم كله . لأن يدك ثقلت
على نهاراً وليلاً . تحولت رطوبتى الى يبوسة القيط . أعترف لك
بخطيئتي ولا أكرم أسمى . قلت أعترف للرب بذنبي . وأنت رفعت

اثام خطيتي « مز ٣٢: ٣ - ٥ » من يكتم خطاياه لا ينجح
ومن يقر بها ويتركها يُرحم « ام ٢٨: ١٣ »

(ثالثاً) اتكل بكثيتك على رحمة المسيح . فيهوذا لم يلتمس
المعاذير لنفسه أو لآخوته لانه لم يكن ممكناً أن يجد أى عذر .
ولكنه سلك طريقاً أوفر حكمة إذ التمس الرحمة . التمس الرحمة بهم ،
وبالصبي الصغير وبذلك الوالد الشيخ . فجرب انت هذه الطريقة
مع ربك فانك لن تخيب . توسل اليه - وانت تقرر على صدرك -
قائلاً « اللهم ارحمني أنا الخاطئ » فانه لن يردك بل يقول اليك
بصوته المتهلج « تقدموا الىّ فأنا يسوع أخوكم . لقد رفعتني
خطاياكم على الصليب ولكن لا تفتأوا ولا تنأسفوا فان الله
قد فعل ذلك للخير لكي أصنع لكم خلاصاً عظيماً »



الفصل التاسع

يوسف يعرف نفسه لأخوته

(تكوين ص ٤٥)

« فوجد الطاس في عدل بنيامين » ياله من أمر عجيب .
لقد وجد طاس ذلك الوالى — الذى كان فى يده سلطان الموت
والحياة — مخفياً كأنه مسروق . ولكن كيف أتى الطاس الى
ذلك العدل ؟ هذا ما لم يستطع الاخوة ادراكه . فانهم لم يخطر
ببالهم أن بنيامين له يد فى هذا الأمر . وكانما — كما خيل اليهم —
قد لعب الشيطان دوراً فى وضع الفضة فى عدالهم فى بداية الأمر
ثم فى اخفاء الطاس

ولا شك فى أن كل واحد من الاخوة تمنى لو وجد الطاس
فى عدله بدلاً من عدل بنيامين ، فقد تذكروا تردد أبيهم الغريب
فى السماح له برفقتهم ، وخيل اليهم بأنه كان يتنبأ بمصيبة أخرى
تحل ببنيامين . عندما عادوا من مصر فى أول الامر قال لهم بشكل

قاطع « لا ينزل ابني معكم . لأن أخاه قدمات وهو وحده باق .
فإن أصابته أذية في الطريق التي تذهبون فيها تنزلون شيبتي بحزن
الى الهاوية » تك ٤٢ : ٣٨ ولكن عندما اشتدت المجاعة
اضطر للرضوخ لطلبهم وقال لهم بقلب مفعم بالحزن « الله القدير
يعطيكم رحمة أمام الرجل حتى يطلق لكم أخاكم الآخر وبنيامين .
وأنا اذا عِدمت الاولاد عدمتهم » تك ٤٣ : ١٤ . لقد ظل قلبه
مضطرباً وفكره منزجاً طول هذه المدة بسبب ما توهمه من الشر
الذى سيحلّ بابنه ، والآن خيل لهم بأن مخاوف ابيهم على وشك أن
تتحقق . ولا بد أن يكون كل واحد قد حدثته نفسه عما سيحدث
عند عودتهم لأبيهم : كيف اجراً على مقابلة أبى . فانه حال
وصولنا لا بد أن يسأل أولاً عن بنيامين ، واذا لم يجده نفذ الى
قلبه سهم الحزن القاتل فانزل شيبته الى الهاوية على عجل .

على انه لم يكن أمامهم الا أن يحملوا دوابهم ثانية ويعودوا .
ولكن ياله من تغيير عجيب حدث في طريقهم عما كان عليه هذا
الطريق قبل الآن . لقد كانت نفس الشمس مشرقة كما كانت وكل
شئ حولهم لم يتغير ، أما هم فقد تلبدت سماؤهم بغيوم كثيفة
وسادت أرضهم ظلمة حالكة

والآن لتأمل في المنظر التالى الذى يسترعى كل اهتمامنا لانه
يبين لنا معاملات الله مع النفوس المنسحقة من أجل خطاياها ، ثم

هو في نفس الوقت يرمز الى ذلك الوقت الذي فيه يطلب اسرائيل بدموع ذاك الذي سبق ان سمره على الصليب الذي « رفعه الله يمينه رئيساً ومخلصاً ليعطي اسرائيل التوبة وغفران الخطايا » اع ٥ : ٣١

(١) لاحظ الظروف التي وجدوا أنفسهم فيها . لقد استيقظت الآن ضمايرهم واشتدت وخزاتها . لقد مثلت أمام أعينهم تلك الجريمة التي مضى عليها نحو عشرين عاماً ولم يكن ممكناً الا ان تنطق الستينهم بها . ولا شك في انهم كانوا دائمى التفكير فيها فان أحزانهم الحالية قد ذكرتهم بأحزان ذلك الصبي قديماً ، وهذا قادهم الى استخلاص تلك الحقيقة وهى أنه لا بد أن تكون هنالك علاقة بين الحالين ، ولهذا فكانت الكلمات التي انسابت على لسان يهوذا — الذى كان ينطق بلسانهم — عندما وقف أمام يوسف معبرة عن فكر قلوبهم « ماذا نقول لسيدي ؟ ماذا نتكلم ؟ وبماذا نتبرر ؟ الله قد وجد اسم عبيدك »

أن الله (يفتضح) آثامنا دوماً . فهو يتربح خطواتنا خطوة خطوة . قد تمر السنون دون أن يُعرف الامر ولكن لا يمكن إلا أن يحس الوقت الذى فيه يفتضح السر : « وتعاملون خطيتكم التي تصيبكم » (١) عدد ٣٢ : ٢٣ . ربما تمضى عشرات السنين على ما

(١) ترجمة النص الانكليزى لهذه الآية (ثقوا أن خطيتكم ستفتضحكم)

اقترفته من أثم ، ثم تنهى نفسك أخيراً - كما فعل هؤلاء الاخوة -
بان جرمك قد نسي وبأنك الآن فى أمان وسلام ، ولكن قد
تأتى بعد ذلك سلسلة من الحوادث ، رتبها يد العناية الالهية ،
فتظهر الحق مثل النور ، وتكتب حكم الله العادل بأحرف من نار
ونور على حائط البيت الذى تقيم فيه ولأتمك وتشبع لذاتك الفاسدة
بلا اكتراث (١) فما دام الخاطيء لم تغفر له خطاياه فلن يشعر بالراحة
والسلام .

روى أحد القسوس مرة خبراً عن حادثة مرعبة فى هذا
الصدد . قال : بينما كانت بعض الحفائر تجرى بجوار السكندرية
عثر المقيبون على جمجمة ميت فيها مسمار . وكان القسيس حاضراً
بالصدفة فتناول الجمجمة وأخذ يقلب فيها ثم سأل أحد الواقفين عما
إذا كان يعرف لمن هذه الجمجمة وكيف مات صاحبها . فاجابه على
الفور أنها لرجل مسن مات منذ بضع سنوات فجأة ولا زالت
زوجته عائشة الى الآن وقد تزوجت على التو عقب وفاته ، وأخيراً
وجدها القسيس وواجهها بالجمجمة . وفى الحال امتنع وجه المرأة
وعلته صفرة كصفرة الاموات ثم اعترفت بأنها هى التى قتلت
زوجها وأنها منذ ذلك الحين لم تجد راحة لا بالليل ولا بالنهار .
هذا مثل مما يجربه ناموس الله فى هذه الحياة . وإذا لم تفصح

كل خطايا في هذه الحياة فانها على الاقل ستفضح امام عرش الله
في ذلك اليوم الذي تكشف فيه كل خفايا القلوب

انه لن يوجد ملجأ يحتوى فيه الخطاء إلا جراحات المسيح.
هذه هي مدن الملجأ التي لن يستطيع ولي الدم دخولها والتي فيها
يجد الخطاء الامن والسلام

على انهم فضلا عن ذلك شعروا بانهم تحت سلطان يوسف
الكامل . فلم يكن أرفع منه في كل أرض مصر سوى فرعون . كل
الجيوش وكل القوات رهن اشارته . فان امر بسجن مؤبد لهؤلاء
الاخوة أو امر بحجز بنيامين واطلاق سراح الباقين لما وقف أمامه
اي معارض . وانه لما يزعج الخطاة ان يعملوا انهم تحت رحمة الله
حيان الاحياء والاموات، وانه لا يوجد من يخلصهم من يده . وكما
أن الفريسة لا تستطيع الافلات من براثن الاسد، ولا الحشرة
الدينثة من يد الانسان، كذلك لن يستطيع الخطاة الافلات من
يد الله . لذلك « كن مراضياً لخصمك سريعاً ما دمت معه في
الطريق . لئلا يسلمك الخصم الى القاضى ويسلمك القاضى الى
الشرطى فتلقى في السجن » مت ٥ : ٢٥

ثم انهم وجدوا أن المظاهر الخارجية ضدهم . لم يكن ثمة
شك في ان الطاس وجد في عدل بنيامين . ومع انهم كانوا حقيقة

أبرياء من السرقة ولكن لم يكن ممكناً أن يلتمسوا لانفسهم أى عذر . لأنه ما دامت القرينة قائمة فالجريمة قائمة .

أما قيمة الطاس فى نظر الملوك والعطاء فيعرفها تماماً كل من درس التاريخ القديم . فقد كانت العقيدة الراسخة أن كل من شرب منه كشف له ما خفى من أسرار . ونحن لا نميل الى الاعتقاد بان يوسف كان يستعمله لهذا الغرض ولكنه كان يريد على ما يظهر أن يحتفظ بالشكل الخارجى للعادات المصرية .

(٢) لاحظ أيضاً سلوكهم وتصرفاتهم : أنهم « وقعوا أمامه على الارض » تك ٤٤ : ١٤ متممين بذلك أحلام صباء وهم لا يدرون . ولا بد أن يكون يوسف قد استعاد فى ذاكرته ذلك المنظر الذى رآه قديماً ، فقد تمثلت أمامه الآن حزمهم وهى تخضع أمام حزمته المنتصبة فى وسطها

ومن ذا الذى سيتقدمهم فى الكلام . كان راوبين يميل دائماً الى تبرير نفسه ، ثم انه كان واثقاً من رجوع جميع اخوته سالمين حتى انه ضمن سلامة بنيامين بحياة أولاده ، ولكننا نراه الآن صامتاً لا ينبس ببنت شفة . وشمعون الذى كان أقسام قلباً والذى كان رئيس العصاة ضد يوسف قديماً لا يجسر الآن على النطق بأية كلمة . وبنيامين البرىء الذى يمثل ذلك الشاب الذى أحبه يسوع قد 'ضبط متلبساً بالجريمة ولم يكن لديه ما ينطق به . فمن

ذا الذى يستطيع أن يتكلم إذا . لم يكن هنالك سوى يهوذا —
ذاك الذى سبق أن حول الاخوة قديماً عن مؤامرة التتل عند
حافة الجب . لاحظ كلماته ، انه لا يذكر الظروف المخففة للجريمة
ولا يحاول أن يذكر شيئاً عن الماضى أو يتلمس المآذير
لبنيامين أو لسائر الاخوة ، ولكنه يرتقى بكلمته على رحمة
يوسف « ماذا نقول لسيدى ؟ ماذا نتكلم ؟ وبماذا نتبرر ؟ »

ولا يزال هنالك درس لنا لتعلمه . فاننا لا شك خطاة ولا
شك فى أننا مجرمون فى حق أخينا الأكبر الذى التى مرة فى القبر
ولكنه الآن جالس عن يمين العظمة . فان كنا نحاول أن نلطف
خطايانا أو نتلمس المآذير لانفسنا أو نشرح الماضى فنحن انما
تزيد الطين بلة ، لانه عندما يواجهنا الله بخطيتنا عندئذ يستد كل فم
ولا يمكننا إلا أن نصرخ قائلين « الله قد وجد اثم عبيدك » أما
ان كنا فلجأ لرحمته فاننا لا ننجب

ثم ان الظروف التى نحن فيها الآن افضل جداً من الظروف
التي وجد فيها هؤلاء الاخوة قديماً . فانه لم تكن لديهم اية فكرة عن
رقة قلب يوسف ، ولم يصروه عندما تحول عنهم وبكى ، وهم لم
يفهموا لماذا اسرع فى الانسحاب عنهم فى احدى المرات السابقة ،
وهم لم يصروا الدموع التى اتمهت من عينيه . وعلى العكس من
ذلك رأوه رجلاً فظاً قاسى القلب « تكلم معنا الرجل سيد الارض

يحفظاء « تك ٤٢ : ٣٠ اما نحن فأننا نعرف رقة قلب الرب يسوع وقد رأينا الدموع تنهمر من عينيه عندما اقترب من اورشليم ، وسمعنا صوته الحنون الذى به يدعونا اليه ، ووقفنا تحت صليبه وسمعنا صلاته الاخيرة من أجل قائله ووعد له للص التائب ، ونحن نذكرك عن يقين انه لا يتصف قصبة مرضوضة ولا يطفى فتيلة مدخنة . لهذا فنحن عندما نلجأ لرحمته لا نخاف ابداً . لا داعى للتردد فى الدخول قائلين قبل ان ندخل « ان هلكت هلكت » كما قالت استير . فكل نفس تشعر بالخطية وتلجأ لرحمة الله التى فى المسيح يسوع ربنا لن نخشى القتل او الخيبة .

اما ذلك التوسل الذى سكب به يهوذا تحت قدمى يوسف فانه يسترعى كل تأملاتنا واهتمامنا . ففيه نستطيع ان نرى بل ان نفلس شدة اهتمامه الذى جعله يجسر على الاقتراب من ذلك الوالى اللعاسى الذى كان له كل الحق فى أن يشتعل غضبه ، نراه وقد تمثلت أمامه صورة ذلك الوالد الشيخ الذى حرم من أحد أبنائه والتصق الآن بابنه الصغير وهو البقية الباقية من زوجته المحبوبة ، كما تمثلت أمامه مخاوف أبيه على ابنه التى لم تقو عليها الا تلك المجاعة اللطاحنة التى لا تقف أمامها كل قوات العالم ؛ كما تمثلت أمامه لهفة أبيه على رجوع ابنه الذى قد تعلق به نفسه ، كذلك ادرك شدة الحزن الذى لا يد ان يستولى على قلب ابيه حالما يرى انه لم يعد

معهم ، كما خطر بباله ان يقدم نفسه ليوسف كهبد نظير اطلاق
بنيامين مفضلاً بالأحرى حياة العبودية عن أن يرى شبيهة
أبيه تنزل بحزن الى الهاوية . كل هذه تمثلت أمام عيني يهوذا
فخزته على تقديم توسلاته

ومهما باغت تلك التوسلات والاحتجاجات التي قدمها
يهوذا من القوة والبلاغة فانها لن توازي نقطة في بحر آمم
طلبات ربنا ومخلصنا يسوع المسيح التي رفعها عنا أمام العرش -
وكما غلت السماء عن الأرض ، وكما سميت أشعة الشمس عن
أشعة القمر هكذا تسمو الشفاعة التي قدمها عنا الكاهن الأعظم
عن توسلات يهوذا . فان كان شفيعنا لن يخسر قضية واحدة
فالنلق بانفسنا بين يديه ولنثق فيه عندما يقول « من يقبل الى
لا اخرجه خارجاً » يو ٦ : ٣٧ « لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة
مثل هذا » عب ٧ : ٢٦

وهكذا نرى أن غرض يوسف قد تحقق فانه :—

(أولاً) كان يرغب في أن تعود اليهم حياة السلام والاستقرار ،
ولكنه أدرك أن ذلك ان يمكن تحقيقه ما لم يعترفوا بخطيتهم وينالوا
عنها الصفح التام . أما الآن فقد رآهم يعترفون بها .

(ثانياً) أنه كان يود أن يعرف شعورهم نحو بنيامين . واذ
كان ذلك الغرض أمام عينيه أعطاه نصيباً يوازي خمسة أضعاف

نصيب كل منهم عندما كانوا على مائدته تك ٤٣ : ٢٤ ربما كان السبب في ذلك رغبته في اظهار محبته الخاصة لبنيامين . أو ربما كان لباعث أعمق . فهو يعرف أن بغضهم له نشأ بسبب الاحلام التي رأى نفسه فيها رئيساً عليهم ، لهذا فانه أراد أن يرى الآن شعورهم من جهة بنيامين ان كان يفضل في المعاملة عنهم مع أنه أصغرهم . ولكنهم رغمًا عن هذه المعاملة الممتازة كانوا في شدة الرغبة أن يعود معهم .

(ثالثاً) فضلاً عن ذلك فانه كان يود أن يعرف ما اذا كان لديهم روح الصنح والتسامح . كان بنيامين هو الذى جر عليهم كل هذه المتاعب الاخيرة ، فان كانوا قد تصرفوا معه بمثل تصرفاتهم السابقة لكانوا قد تركوه يلقي نصيبه . ولكنهم ان كانوا قد فعلوا ذلك لما كانوا قد نالوا الصنح من يوسف « ان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم » مت ١٥ : ٦ على انهم لم يحقدوا على أخيه ، بل بالعكس اظهروا له كل عطف ومحبة من أجل أبيهم ومن أجله هو أيضاً .

إذا فقد تحققت كل أغراض يوسف ، ومهدت كل الظروف فلم يبق هنالك ما يمنع من أن يكشف لهم تلك الحقيقة التالية .

(٣) لاحظ أخيراً اعلان يوسف نفسه لآخوته وتصالحه معهم . « فلم يستطع يوسف أن يضبط نفسه » تك ٤٥ : ١ كان

في كل المدة الطويلة يبذل مجهوداً عنيفاً لكي يضبط نفسه ، لانه لو كان قد ترك لمواظفه الطبيعية لكان قد كشف لهم السر منذ زمن طويل . ولكنه ضبط نفسه حتى يدرس نفسياتهم واخلاقهم . وحالما انتهى يهوذا من مرافقته « لم يستطع يوسف أن يضبط نفسه »

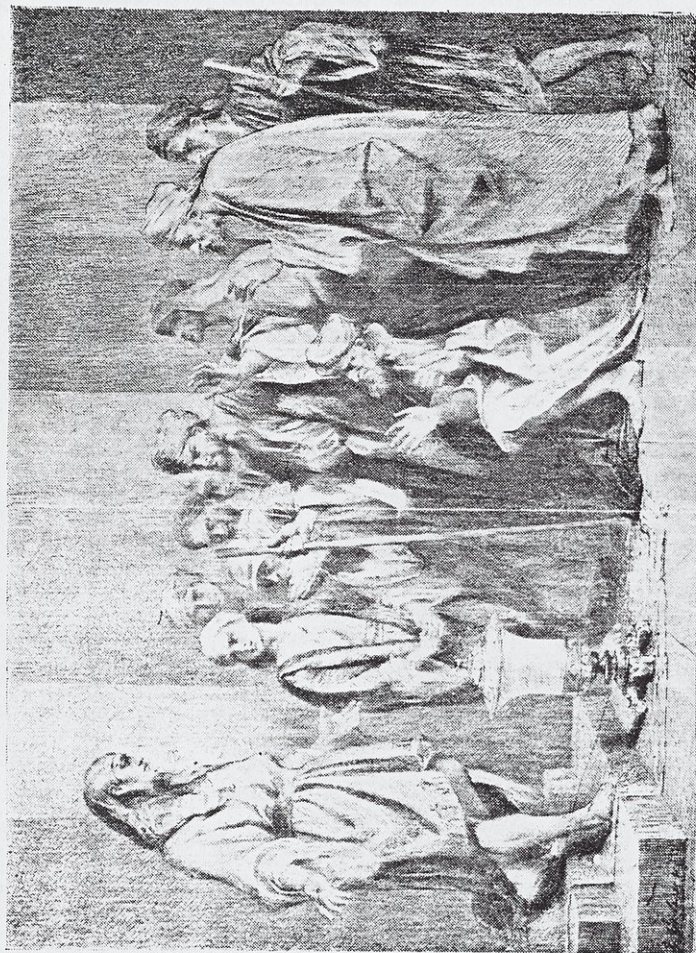
ايها القارئ العزيز ! ان كنت تظن بأن مخلصنا قاسٍ في معاملاته ولا يقبل الخطاة الا بعد مجهود عنيف فانك خاطيء في أوهامك ، فانه سهل في معاملاته وقلبه يفيض رقة ومحبة . وان كان يبدو اليك بانه متعافل عنك فليس ذلك لنقص في محبته ولكنه يضطر لذلك لكي يختبرنا ويمتحننا ويعلمنا . لا شك في أنه كان يحب مرثا ومريم ، ولكنه تباعد عنها يومين كاملين وظل في مكانه هذين اليومين حتى مات لعازر ، وبعد ذلك ذهب اليهما وصنع اعظم معجزاته على باب القبر الذي فيه قد دفنت كل امال الاختين . عندما نكون في التجربة يدعونا السيد لوليمته ويتحدث الينا حديث المحبة ومع ذلك قد يكون هنالك حجاب بيننا وبينه ، ولكن بعد أن تنتهى التجربة لا تبقى هنالك حاجة لحجب وجهه عنا بل يعلن ذاته الينا « خروجه يقين كالفجر » هو ٦ : ٣

ثم صرخ يوسف « أخرجوا كل انسان عني » وفي ذلك استعمال منتهى الحكمة فانه لم يشأ أن يشهر باخوته ، كما أنه أراد أن يتحدث اليهم حديثاً لا يمكن أن يفهمه رجال البلاط . وفوق

ذلك فانه أراد ان يعطى اخوته فرصة ليختلوا بانفسهم . وبعد ذلك « لم يقف أحد عنده حين عرف يوسف إخوته بنفسه »
تك ٤٥ : ١

ثم « أطلق صوته بالبكاء » ع ٢ ولما سمع المصريون الصوت لم يميزوا ان كان هذا صوت الفرح أو صوت الحزن . واننى أعتقد بانه لم يكن هذا أو ذاك بل كان صوت انفجار العواطف التى كانت تغلى كالبركان فى داخله . فقد كانت عواطفه مكبوتة زمناً طويلاً ، كان شديد الرغبة بان لا يخسرهم ، كما كان شديد الخوف لئلا يفشلوا فى الاختبار . عندما كان يرقبهم عن بُعد قبل الرحيل ربما يكون قد وبخ نفسه لسماحه لهم بالانطلاق . وهكذا كان عقله دائم التفكير فيهم . أما الآن وقد أصبح لا داعى للمجهود الذى كان يبذله لضبط نفسه فقد أطلق صوته بالبكاء .

أيها الخطاة اعلموا أن قلب يسوع دائم التفكير فيكم وأخيراً قال لهم « أنا يوسف » ومع انه قال ذلك بصوت متهدج إلا أن الكلمات نزلت عليهم كالصاعقة . « يوسف » ؟ أكانوا كل تلك المدة الطويلة بين يدي أخيهام الذى فقدوه منذ عشرين عاماً ؟ « يوسف » ؟ إذن لقد وقعوا فى الفخ لا محالة . « يوسف » ؟ أيمن أن يُصدق هذا ؟ نعم ! ولا يمكن إلا أن يكون هو حقاً فان ذلك يفسر لهم كثيراً من الالغاز التى اربكتهم .



انا يوسف اخوكم



كان طبيعياً أن يسودهم الرعب والخوف . لقد أخذتهم الدهشة
اذ رأوا اخاهم قام من بين الاموات ، ولقد خلع قلوبهم الخوف
بسبب ما ترقبوه من النتائج ، فانهم كانوا يخشون ثلثا يسترد منهم
الآن ذلك الدين القديم . كل هذه العوامل عقدت الستهم فلم
يستطيعوا ان يجيبوه . لذلك قال لهم ثانية « انا يوسف اخوكم
الذى بعتموه الى مصر » وبعد ذلك اضاف هذه الكلمات التى
تم عن عمق محبته : « والآن لا تتأسفوا ولا تقناظوا . . .
لانه لاستيقاء حياة ارساني الله قد امكم »

ويذكرنا هذا المنظر بمنظر آخر مشابه لهذا تماماً ، هو تلك الحادثة
التي حصلت على ابواب دمشق عندما اوقف يسوع ذلك الشاب
مضطهد المسيحية بهذه الكلمات « شاول لماذا تضطهدنى » فقال له
« من انت يا رب » فاجابه « انا يسوع الذى انت تضطهده »

ايها الخاطى ! بنفس هذه الكلمات يتحدث اليك المخلص
قائلاً « انا يسوع اخوك ، الذى قد بعته وصلبته . ولكن لا تتأسف ،
فاننى قد أسلمت بناءً على مشورة الله المحتومة وعده السابق ولو
كانت الايدى التى صلبتنى مجرمة اثيمة . ولكنك ان كنت تتوب
تمح خطاياك » فكل خطية وكل تجديف يغفر للناس «

ثم « قال يوسف لـ اخوته تقدموا الى » كانوا قد تباعدوا
عنه ، أما الآن فانه يأمرهم بالاقتراب منه . وهذا تشبيه جميل لما

يفعله الله مع الخطاة لكي يقربهم اليه . فانه لا يضعنا مدة تحت الاختبار
كلّا ! فلا حاجة للوقوف بعيداً لانه يدعونا لحياة الشركة السرية
والصلة الكاملة به . إن كانت خطايانا قد أبعدتنا عنه فان دم المسيح
يقربنا اليه . وإن كنا نسلك طريق التوبة الوعر في لحظة ففي اللحظة
التالية مباشرة نحظى بمحبة الّاب وقبلاته ونحظى بالجلوس معه
في الوليمة السماوية .

وبعد لحظة أخرى رأينا يوسف قد « وقع على عنق بنيامين
وبكى . وبكى بنيامين على عنقه » ع ١٤ وانساب الدموع من
عينيهما . ثم « قتل جميع إخوته » ع ١٥ شتمون ؟ نعم . رأوبين ؟
نعم . أولئك الذين قيدوا يديه ولم يبالوا بصراخه ؟ نعم . أنه قبلهم
جميعاً . وبعد ذلك تحدثوا اليه .

نعم سيأتي اليوم الذي يتم فيه هذا أيضاً . أن اليهود يتقاطرون
الآن الى فلسطين ؛ وهنالك تنتظرهم الضيقات والمتاعب الشديدة
لكي تعدم للاعتراف بمسيا الذي رفضوه . ونحن نرجو أن يأتي
قريباً ذلك اليوم الذي فيه يسمعون قائلاً لهم « أنا يسوع أخوكم الذي
صلبتموه ، والان لا تتأسفوا ولا تغتاظوا ، لان الله أخرج من الشر
خيراً لكل من اليهود والأُمم اذ صنع لهم خلاصاً عظيماً » وحينئذ
« ينظرون الى الذي طعنوه وينوحون عليه » زك ١٢ : ١٠

« وهكذا سيخلص جميع إسرائيل » رو ١١ : ٢٦

الفصل العاشر

فهمنة يوسف في مصر

(تك ٤٧)

بينما كانت تلك الامور التي تأملناها في الفصول الاخيرة
تجربى مجراها كان يوسف يتودد المملكة المصرية في تلك الازمة
الطاحنة. وهو عندما اعتلى كرسى الرئاسة كان عرش فرعون
ضعيفاً، ولكن بعد أن قاد البلاد نحو ثلاثة عشر طاماً أصبح فرعون
مالكاً لكل أرض مصر. وبذلك تقوى العرش بفضل خبرة
وحكمة ذلك الشاب العبراني.

وفي خلال سنى الشبع السبع أمر يوسف بأن يخزن خمس
محصول كل منطقة في دائرتها، وبذلك تتوفر في كل مدينة المؤونة
التي تلزمها وقت الحاجة.

وأخيراً جاءت المجاعة، وياله من هول تلك المجاعة « ولم يكن
خبز في كل الارض لان الجوع كان شديداً جداً. نفورت أرض

مصر وأرض كنعان من أجل الجوع « ع ١٣ ولا شك انه لو لم يكن يوسف قد احتاط لهذه المجاعة بما خزنه من مؤونة لكانت البلاد قد افقرت فامتلات الشوارع من جثث البشر — رجالا ونساء وأطفالا ، وكان لا بد ان يمر زمن طويل حتى تستعيد البلاد حالتها الاولى

وسرعان ما بدأت مخازن الاهالى تفرغ ، ولما اشتد الجوع هرع الجميع الى فرعون طالبين منه القوت الضروري ، فكان فرعون يقول لهم « اذهبوا الى يوسف . والذي يقول لكم افعلوا » تك ٤١ : ٥٥ حينئذ « فتح يوسف جميع ما فيه طعام وباع للمصريين » ع ٥٦ فكان هذا حقا وعدلا كما دل على حكمة ممتازة لانه لم يكن من العدل ان يهبهم قمحا — بلا ثمن — لان فى ذلك افساد لروح الشعب المعنوية ومضیعة لنشاطهم اذ كان لا بد ان يحصلوا على قوتهم بعرق جبينهم . وان ما فعله يوسف لمطابق تمام المطابقة لاسمى قواعد علم الاقتصاد السياسى الحديث ٦

على ان المال سرعان ما نفذ اذ لم يكف سوى سنة واحدة . فاذا يفعل حينئذ . لم يبق هنالك سوى الاشخاص والاراضى ؛ وهذه يعز على النفس بيعها . ولكن لم تكن هنالك وسيلة اخرى امامهم لذلك جاءوا الى يوسف اخيرا قائلين « لماذا نموت امام عينيك ... اشترنا واراضنا بالخبز » تك ٤٧ : ١٩ . وبمعنى آخر انهم اصبحوا

فلاحين لفرعون وكانوا يدفعون له خمس المحصول كايجار للأرض
ع ٢٤ - ٢٦ وهذه قيمة معقولة جداً

(١) والآن لتأمل في الروح الذى ساد يوسف أثناء خدمته .
انه يلخص في ثلاث عبارات مختصرة . فانه كان « مجتهداً في عمله ،
حاراً في الروح ، عابد الرب » ام ٢٢ : ٢٩ ، رو ١٢ : ١١
(اولا) اما عن اجتهاده في عمله فلدينا الادلة الكثيرة على ذلك .

فانه في بداية الامر عندما اعتلى منصبه الرفيع « اجتاز في كل ارض
مصر » تك ٤١ : ٤٦ ليتفقد شئون بناء المخازن ثم تخزين القمح .
وعندما حلت المجاعة كان القمح يباع تحت اشرافه . ويظهر ان كل
العبء فيما يختص بالترتيبات التى عملت أثناء المجاعة كان ملقى على
عاتقه وحده لان فرعون فنض يده من هذه العملية اذ كان يقول دوماً
« اذهبوا الى يوسف » . فيوسف هو الذى جمع كل ثروة البلاد ،
ويوسف هو الذى اشترى كل ارض مصر لفرعون ، ويوسف هو
الذى باشر عملية توزيع العمال في كل البلاد لبيع القمح ، ويوسف
هو الذى وضع التعليمات واللوائح التى تتبع لادارة البلاد أثناء
المجاعة . « رأيت رجالاً مجتهداً في عمله . أمام الملوك يقف ،
لا يقف أمام الرعاع » ام ٢٢ : ٢٩

ايها الشبان ! ليكن يوسف مثالا لكم في الجِد والنشاط .
تمموا عملكم — مها كان وضعاً — بكل ما أوتيتم من قوة

واقترار . وحذار من أن تتشبهوا بأولئك الذين يعملون عملهم
برخاء وبلادة وكسل

وهاكم بعض التواعد لمراعاتها في اتمام أعمالكم ، وهى وان
كانت بسيطة الا انها جوهرية :

١ — اتنعموا بكل أوقاتكم . فان جميع الاشخاص الذين
كانوا أوفر حظا في النجاح في الحياة هم الذين تعلموا كيف ينتفعون
من كل دقيقة في أوقاتهم حتى أوقات الفراغ

٢ — تعودوا المحافظة على المواعيد . فان اردل ما يتصف به
المرء هو عدم المحافظة على المواعيد . وكثيراً ما كانت هذه الرذيلة
سبباً في ضياع فرص عديدة

٣ — راعوا الدقة والنظام في عملكم . رتبوا عملكم اليومي
وتتموه بمنتهى الدقة ، واخضعوا دوماً لارادة الله التى يعانها
لكم اثناء تأدية عملكم

٤ — كونوا سريعين فان طُلب منكم تأدية عمل تتموه
بسرعة تشعرون بلذة الراحة بعد اتمامه .

٥ — كونوا نشطين . سأل مرة أحد الشبان رجلاً متقدماً
في السن ، حنكته التجارب ، أن يدلّه على أحسن شعار يتخذه في
عمله فأجابه الشيخ : لا يوجد شعار للشبان يا بنى أفضل من

كلمات الحكيم « كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك »

جا ١٠ : ٩

(ثانياً) على أن يوسف كان أيضاً « حاراً في الروح » فقد قال عنه أبوه « يوسف غصن شجرة مشرة على عين. أغصان قد ارتفعت فوق حائط » تك ٤٩ : ٢٢ انه يكاد يكون مستحيلاً أن ندرك كل جمال هذا التشبيه البديع. هنالك غرس الشجرة في أرض ناشفة ، فلا ينتظر ان تورق أغصانها وبالأحرى لا ينتظر أن تثمر . ولكنك فجأة رأيت أغصانها مورقة وقد ارتفعت فوق حائط محملة بعناقيد العنب . لماذا ؟ لان عيناً عميقة في اسفل الشجرة وقد امتدت اليها جذورها فارتوت منها . هكذا كانت حياة يوسف التي تقضت في أرض ناشفة فإنه لم يجد في مصر ما يغذى حياته الروحية ، ولكنه رغمًا عن ذلك قد أعطت حياته ثماراً ابهجت الانسان وأرضت الله . فقد امتلأت حياته بل فاضت محبة ، فرحاً ، سلاماً ، طول أناة ، وداعة ، صلاحاً . ولا شك في ان كل ذلك تم له لانه كان « حاراً في الروح »

قبل عن احد الوزراء العظام انه كان في فجر حياته راعياً للغنم . ولما وصل الى مركزه الرفيع خصص غرفة في قصره لاستعماله الشخصي ولم يكن مسموحاً لاي شخص آخر الدخول اليها . في هذه الغرفة اودع اثاث بيته المتواضع الاول وكل عدته التي كان يستعملها في حياته الاولى في رعاية الغنم . وفي كل يوم كان يدخل

هذه الغرفة ليتأمل فيما كان عليه بالأمس وفيما وصل اليه اليوم .
ولا شك انه كانت ليوسف غرفة خاصة في قصره يقضى فيها
الساعات كل اسبوع ، بل كل يوم ، في مناجاة إله آبائه الذى اليه
يعزى كل الفضل فيما وصل اليه

فلت رجال الاعمال فينا يكونون « حارين في الروح » . اذ
اننا نراهم اليوم يعطون زبدة اوقاتهم لدفاترهم واوراقهم ولكنهم
لا يعطون وقتاً لكتابهم المقدس ، يعطون اوقاناً طويلة للقهاوى
والمنتديات ولكنهم لا يخصصون وقتاً للكنيسة . يتضمنون الساعات
في التحدث مع أصدقائهم ولا يجدون الدقائق للتحدث مع الله .
لهذا قال حياتهم سرعان ما تذبل ، وهم في هذه الحال كيف
يستطيعون ان يغذوا النفوس الكثيرة التى تحتك بهم والتى تطلب
المعونة ، لانه أنى للنفس الجائعة ان تشبع نفساً جائعة . ان حياتنا
لا يمكن ان تعطى ثمرًا بمجهودها الشخصى . ولكن بهذا فقط
يمكن ان تثمر الحياة - عندما تمد جذورها الى العين . لهذا يجب
ان نقضى الاوقات الطويلة فى الصلاة الانفرادية ودرس كلمة الله .
وعندئذ فقط تورق الشجرة وتحمل بالثمار اليانعة .

لا تنوهم بأنه يستحيل عليك ان تكون « حاراً فى الروح »
وانت تقضى معظم وقتك فى أعمالك العالمية . فان ذلك لم يكن

مستحيلاً على يوسف ، وهو لا يمكن ان يكون مستحيلاً على أى شخص يسلك بحسب قانون الكتاب .

انه لا يكفى أن تشعل النار بل يجب أن تغذيها . لهذا فكم من النفوس قد فترت حياتها الروحية تدريجياً بسبب الاهمال والتواني في العبادة والصلاة ، وبذلك انطفأت جذوة النار التي اشتعلت فيها قديماً . هاكم هي « عين » أو « بئر » كلمة الله ، اقتربوا اليها واسمحوا للجذور بأن تتعمق اليها ، استقوا منها جو اسطة درس الكلمة كل يوم . وبذلك تستطيعون أن تتفوا أمام العوامل الكثيرة التي تحاول أن تطفىء غيركم وتفت في عضدكم .

(ثالثاً) على أن يوسف كان أيضاً « عابد الرب » فقد كان الرب دواماً في فكره وفي قلبه ، وكان شعاره « أننى أخاف الرب » . وكان الفكر السائد على عقله « ليس أنتم أرسلتموني الى هنا بل الله . وهو قد جعلنى متسلطاً على كل أرض مصر » تك ٤٥ : ٨ . وهو في هذا القول يوضح عقيدته بأنه كان مديناً لله بكل ما لديه .

السنا حقاً في حاجة الى الرابطة التي بها نستطيع أن نوفق بين أعمالنا اليومية ومبادئنا الدينية . انه لمن المؤلم أن نرى الكثيرين يلبسون في محال أعمالهم لباساً خاصاً واذا ما توجهوا الى الكنيسة يغيرون مظهرهم . فلكي نظهر دواماً في حالة واحدة يجب أن يكون

الفكر الذى يسودنا هو أننا نعيش فى هذه الحياة تحت سلطان المسيح الذى يجب طاعته فى كل شىء . فان كان هنالك أى شىء فى حياتك — عادة أو سلوك أو لباس — لا يرضى المسيح فيجب الابتعاد عنه . وما اجمل ما قاله الرسول فى هذا الصدد لفقراء جيله الذين البسهم شرفاً جديداً عندما خاطبهم قائلاً « كعبيد المسيح . خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس » اف ٦: ٦ و ٧ من أجل هذا لا تتذمر ان كان عملك وضعياً بل تممه على الوجه الاكمل « كما للرب »

أن العالم مملوء بالخدام الغير أمناء ، ومع ذلك فاذا وبختهم سمعت منهم أمثال هذه الاجابات: أن الأجر الذى اتقاضاه ضئيل ، أن سيدى أو رئيسى لا يعنى بأمرى العناية الواجبة ، أننى أعامل كعبد ، سأترك عملى فى أقرب فرصة . لكن قف قليلاً يا صاح . فمن ذا الذى آتى بك الى هذا المكان ؟ هل للمسيح دخل فى وجودك فى هذا العمل ؟ ان كان الجواب سلباً فكيف جرأت على مخالفة ارادته ؟ وان كانت ارادة الله أن تبقى فى مركزك فكيف تفكر فى تركه قبل أن تثق من انه يريدك أن تتركه ؟

ثم من جهة العمل نفسه : ما هو الباعث الذى يحركك لاتمامه ؟ هل للحصول على الأجر أو الشكر أو لمجرد العادة ؟ أم أنت تعمل كما للرب ؟ اذاً فابذل قصارى جهدك لارضائه ، واعلم بأن كل

غرفة تدخلها انما هي غرفة في هيكله المقدس ، وكل انية تلمسها انما هي احدى اواني مقدسه ، وكل حركة تتحركها يرقبها الله باهتمام كما التفت الى سكب قارورة الطيب . واكتب على كل قطعة من عملك « مكرس ليسوع المسيح » . كل هذا يسطع على العمل فوراً جديداً ويجعل للحياة معنى جديداً .

ويجب أن لا ننسى أن ارادة الرب هي أن يجعل الحياة كلها في مستوى واحد وان كان كل فرد انما يعمل لكي يتمم مطالب الحياة . « لان من دعى في الرب وهو عبد فهو عتيق الرب . كذلك ايضاً الحر المدعو هو عبد للمسيح » ١ كور ٧ : ٢٢ وطالما كان المسيح هو الرأس وهو الرب ، فلا بد أن تنال الحياة وخدمتها الحقيقية

(٢) ثم لتأمل في اعتراف المصريين « فقالوا أحييتنا » تك ٤٧ : ٢٥ لقد سكب الرب على يوسف من فيض الحكمة والذكاء وبعد النظر فاستطاع أن يصنع ذلك الخلاص العظيم . وكم من أشخاص قد وهبهم الرب هذه الصفات فاستطاعوا أن يخلصوا الكثيرين ، وأن يقدموا للعالم أجل الخدمات في شتى النواحي .

على ان هنالك ما هو اسمى من هذا . فانتى اذ ارى جمهور المصريين يزدهون حول يوسف بهذه الكلمات في افواههم انذكر

ذاك الذى كان يرمز اليه يوسف . فكما أضعده يوسف من الجب ليهب خبزاً لآخوته الذين رفضوه ولائمة وثنية ، كذلك قام يسوع من ظلمة القبر ليهب خلاصاً لآخوته اليهود وللملايين البشر من العالم الوثنى . واننى عن بعد أسمع صوت ربوات المؤمنين وهم يخرجون أمام العرش قائلين قد « أحييتنا » أو « خلصتنا » .

لقد لقب المصريون يوسف « مخلص العالم » ولكن هيهات حين هذا الخلاص وذاك الذى أنمه يسوع . فيوسف خلص مصر بحكمته ، أما يسوع فخلصنا ببذل حياته . وخبز يوسف لم يكلّمه شيئاً أما الخبز الذى يعطيه يسوع فكلّمه الجليظة . لقد كوفى يوسف بالمال والمواشى والأراضى ، أما يسوع فافته يأخذ بضاعته لسوق الفقراء ويبيعهم بلا ثمن ولا فضة . أنه يسد كل أعوازنا تحت شرط واحد هو أنه يقدمها إلينا مجاناً لأننا ان قدمنا اليه ثمناً خسرنا كل شيء ، أما ان تقدمنا اليه بلا فضة ولا ذهب أفاض علينا بركاته ، لانه « يشبع الجياع خيرات ويصرف الاغنياء فارغين » لو ١ : ٥٣ « طوبى للمساكين لان لهم ملكوت السموات » مت ٥ : ٣

(٣) وأخيراً لتأمل فيما اعتزمه هؤلاء المصريون . « فقالوا أحييتنا . ليتنا نجد نعمة فى عينى سيدى فنكون عبيداً لفرعون » ،

تك ٤٧ : ٢٥ وهل نجد باعثاً لتكريس حياتنا لخلاصنا أكثر من هذا ، لانه ان كان قد خلاصنا فهل كثير أن نكون له عبيداً .

هنالك بواعث عدة تدعونا لقبول نير المسيح :

١ — فان فيه شرفاً رفيعاً . وأى شرف أعظم من أن نكون خداماً للمسيح « انتى حامل فى جسدى سمات الرب يسوع »
غل ١٧ : ٦

٢ — وفيه سعادة لا تقدر . فهو الحرية الكاملة ، وان كنت أنال الحرية من المسيح فلست أبالى بكل صعوبات الحياة ، وطاعة المسيح معناها التمتع بحرية مجد أولاد الله .

٣ — وفوق كل هذه البواعث يوجد باعث أقوى وهو : ان كان المسيح قد خلاصك فهلا تخدمه ؟ ان قبلت الدعوة فهناك هي الخطوات التى يجب أن تسلك فيها بعد ذلك مباشرة :

(أولاً) يجب أن تعلم أن يسوع قد اشترك لتكون ضمن خاصته وذلك بسفك دمه فداء عنك وباعطاء جسده حياة لك ولكل العالم

(ثانياً) ثم قدم ذاتك بكليتك اليه قائلاً بكل انضاع ومحبة وثقة : انتى أقدم لك الآن ياربى نفسى وروحى وجسدى ذبيحة حية مقدسة مرضية . واعلم بأنك منذ هذه اللحظة لست ملكاً

لنفسك بل ملكاً له ، وافته انما يستلم منك في الحال ما تسلمه اليه .
فاتخذ يسوع لك مخلصاً وصديقاً ورباً كل لحظة من لحظات الحياة
وقدم له طاعة كاملة في كل ظرف من ظروف الحياة . وعندما
يجزئك المجرب لتتركه ردد تلك الكلمات التي كان يقوها العبد
المعبراني قديماً انى « احب سيدى ... لا أخرج حراً ... »
خر ٢٩ : ٥

ألا يستحق الرب منك ذلك بعد أن اتضع في مذوديت لحم
من أجلك ، وبعد أن عاش في هذا العالم فقيراً وبلا مكان يسند فيه
رأسه من أجلك ، وبعد أن تساقطت قطرات الدماء من جبينه
وسكب للموت نفسه من أجلك ، وبعد أن ارتفع الى السماء وجلس
عن يمين العظمة يتشفع من أجلك ؟

« فاطلب اليكم أيها الاخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم
ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية » رو ١٢ : ١



الفصل الحادى عشر

والد يوسف

(تك ٤٧ : ١ - ١١)

تقاس الحياة بالأعمال لا بالسنين

وبالأفكار لا بالنسمات

وبالمشاعر لا بعدد الساعات

فمن سمى أفكاره

ورقت مشاعره

ونبلت أعماله

كانت حياته هى الأطول

كثيراً ما قادنا أعجابنا ببعض الأشخاص الى التساؤل عن
آبائهم وأمهاتهم . ويقرر لنا التاريخ أن وراء أغلب العظماء آباء
أفاضل وأمهات فضليات . لهذا فلا عجب ان كنا نجد فى الكتاب

القدس ما يشيع هذه الغريزة — غريزة حب الاستطلاع —
من هذه الناحية خصوصاً في حادثة يوسف . وفيها نستطيع أن
نتطلع فيما وراء الستار لننأمل في العلاقة التي بينه وبين والده الشيخ —
يعقوب .

(١) محبة يوسف البنوية التي لم تنقص . لا شك في أن محبة
يوسف لأبيه قد اضطربت في قلبه منذ اللحظة الاولى التي رأى
فيها أخوته وسط الجموع الحاشدة في سوق القمح . ولم يدرك هؤلاء
الأخوة أن يوسف كان متلهفاً ليعرف ان كان أبوه لا يزال حياً ،
كما أنهم لم يدركوا هزة الفرح التي حركت قلبه عندما تصيد منهم
هذه الكلمة : « هوذا الصغير عند أيينا اليوم » تك ٤٢ : ١٣

وعندما أتى اليه أخوته للمرة الثانية لا بد أن يكونوا قد تملكهم
الدهشة عندما لاحظوه يسأل برقة وعطف عن سلامتهم ويقول
لهم « أسألم أبوكم الشيخ الذي قلم عنه . أحي هو بعد ؟ » تك
٤٣ : ٢٧ أما يهوذا فكان يجهل تماماً أنه كان يضرب على الوتر
الحساس عندما ذكر والده مراراً وتكراراً في حديثه معه . ولا شك
في أن تلك الاشارات المتكررة التي ذكرها عن والده هي التي
حركت عواطفه وأثارت شجونه حتى أنه « لم يستطع أن يضبط
نفسه » ولهذا فان أول ما سأل عنه بعد أن عرفهم بنفسه هو هذا
السؤال « أحي أبي بعد ؟ » تك ٤٥ : ٣ وبعد تأكده من سلامة

أبيه نراه في عواطفه المتهاجة تنساب منه بعض العبارات التي تبين
تعلق نفسه بأبيه « أسرعوا واصعدوا إلى أبي وقولوا له هكذا يقول
ابنك يوسف . قد جعلني الله سيداً لكل مصر . أنزل إلى » .
لا تقف ... وتخبرون أبي بكل مجدى في مصر وبكل ما رأيتم .
وتستمعون وتنزلون بأبي الى هنا » تك ٤٥ : ١٣ و ٩

ولا مشاحة في أن الايام والشهور التي انقضت وهو في انتظار
أبيه قد سببت له كثيراً من القلق والاضطراب ، وعند ما سمع
أن أباه الشيخ وصل أخيراً الى حدود مصر على إحدى المركبات
التي أرسلها اليه « شد مركبته وصعد لاستقبال اسرائيل أبيه »
تك ٤٦ : ٢٩

وبالعظمة ذلك الاستقبال . مهما كان السفر قد أضنى ذلك
الشيخ فلا بد أن يكون قد استعاد قواه عندما سمع القوم يقولون
له « ان يوسف قادم » ويخيل الى بانه نزل عن مركبته وبدأ يحدق
ببصره الضعيف فيبصر جماعة قادمة ومن وسطها يبرز تاج هذه
الجماعة فيركض اليه واذا به قد « وقع على عنقه وبكى على عنقه زماناً » .
وبعد أن تفرس فيه من هامة رأسه الى أخمص قدمه بكل حبور
ومسرة قال « أموت الآن بعد ما رأيت وجهك انك حي بعد » .
ولست أدري ماذا كان شعوره عندما تذكر تأوهات السابقة التي
قال في احداها « صار كل هذا علي » تك ٤٢ : ٣٦

على أن محبة يوسف لم تقف عند هذا الحد ، فانه أحبه حباً
مفرطاً فلم يستح به . عندما علم فرعون بوصول أبيه واخوته سر
سروراً عظيماً وطلب من يوسف أن يرتب كل ما فيه راحتهم
« أرض مصر قدامك . في أفضل الارض أسكن اباك واخوتك
اليسكنوا في ارض جاسان . وان علمت انه يوجد بينهم ذوو قدرة
فأجعلهم رؤساء مواش على التي لى » تك ٤٧ : ٦ وبعد ذلك
احضر يوسف أباه امام فرعون

ونحن لا يسعنا إلا ان نذكر بالاعجاب الشديد صراحة يوسف
التي ظهرت في تقديم ابيه لذلك الملك العظيم الذي لا يتصل به إلا
أعظم الرجال في العالم . فقد كانت هنالك هوة اجتماعية عظيمة
أثبتت بين مصر وكنعان ، فما أعظم الفرق بين القصور والخيام ،
ثم بين الملك والراعى .

ولو لم يكن يوسف يحمل بين جنبيه تلك النفس النبيلة لكان
قد تردد في أن يجمع بين النقيضين ، أو كان قد خشى من إظهار
أصله الوضع ، أو كان قد استحي بأقاربه الذين قد حضروا ليكونوا
حالة على البلاد . ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل ، وكل هذه
الأفكار قد انتفت من خيلته لأنه كان ينظر الى ذلك الشيخ
المسن الغريب بأنه أبوه .

وما أشد حاجة أبناء هذا الجيل لتعلم هذا الدرس الثمين .



يوسف يقدم اياه لفرعون

حكثيراً ما نرى الشبان اليوم حالماً يستطيعون أن يرتزقوا
يتجاهلون والديهم الفقراء ، وكأنهم قد نسوا المتاعب الجمة التي
تمكيدوها في تربيتهم وتعليمهم وسهرهم الطويل والارتباكات
والاضطرابات التي تحملوها أثناء مرضهم

والأدهى من ذلك أنك ترى بعض الشبان ... وقد انتقلوا
من حالة الفقر الى حالة الغنى والثراء واليسار ، يتناسون والديهم .
تراهم يعيشون في رغد من العيش ، يسكنون القصور ، يرسلون
أولادهم لأرقى المدارس ، يحيط بهم الخدم والحشم ، أما والدوهم
فقد يهملونهم قطعياً أو قد يعولونهم في مكان متواضع قصى
لأنهم يريدون أن يبعدوهم عن عائلتهم أو عن أنظار أصدقائهم
كشدة استحقاقهم بهم . واننى بصراحة أقرر هنا بأن الشخص الذى
يتصرف هذا التصرف كثيراً ما تبدو فى فعاله أو اقواله ما يحقره
فى نظر أصدقائه أو أقاربه الجدد أكثر مما يسبب له مجرد المظهر
الخارجى لوالديه الفقيرين من هزم وعار . كما أننى بكل صراحة
أقرر بأننى أفضل يوسف الذى افتخر بأن يقدم أباه الى فرعون
عن فرعون نفسه

ايها الشبان ! اكرموا والديكم ، احسنوا معاملتهم ، افتخروا
بما تنسابكم اليهم . قد يكون لهم ضعفاتهم او نقائصهم ولكن ليس

من العدل ان تفكروا في هذه ، بل افتخروا بمحاسنهم . تشبهوا
بابني نوح اللذين غطيا خجل ابيهما .

(٢) سؤال فرعون . « كم هي ايام سنى حياتك » تك ٤٧ : ٨
كان هذا اول سؤال سألته فرعون بمجرد دخوله عليه . ويظهر ان
ما دعاه الى هذا السؤال هو هيئة يعقوب اذ كان قد تقدم في الايام
وانحنى ظهره . وهذا السؤال طالما جرى على افواهنا ، ولكنه
مقياس سيء لتقدير قيمة الحياة ، لان الحياة لا تقاس بعدد الايام .
بل بكيفية صرف تلك الايام .

تقاس الحياة بالاعمال لا بالسنين

وبالافكار لا بالنسمات

وبالمشاعر لا بعدد الساعات

يعيش البعض سنوات طويلة ولكنهم يقدمون في النهاية قليلا
وقد لا يقدمون شيئا . فاذا أخرجت الساعات التي قضيت في البطالة
والكسل ، في الشر والانغماس في الرذيلة ، لما تبقى سوى ساعات
قليلة وهذه هي ساعات الحياة الحقيقية . وعلى هذا القياس قد تجد
شخصاً بلغ السبعين من عمره ولكن حياته الحقيقية تقدر بستة
شهور فقط .

ويعيش البعض سنوات قليلة ولكنهم قد ملأوها بحياة شريفة

حليئة بجلائل الاعمال ، عرفوا كيف ينظمون اعمالهم ، يحافظون على المواعيد ، يفتدون الوقت . وفي النهاية يستطيع هؤلاء ان يقدموا كثيراً ، فكم من كتاب قرأوه ، كم من خدمات أتموها ، كم من اشخاص بنوا حياتهم ، كم من اخلاق قوموها . هؤلاء تعد حياتهم حليلة . قد لا تتجاوز حياة الواحد منهم الثلاثين ولكنه آتم فيها ما يتمه الآخرون في الستين او يزيد

وهل لي الآن ان اسأل كل واحد من القراء « كم هي ايام سنى حياتك »

« كم هي ايام سنى حياتك » هل انت في السابعة عشر ؟ هذا هو سن الخطورة ، هذا هو السن الذى فيه تبنى حياتك ، فكما تكون حياتك الآن ستكون كذلك فى الاعوام التالية . افك الآن على وشك الخروج من مكنك لتواجه مخاطر الحياة . احذر من كل ما ينتظرك من خداع ومخاطلة . سلم زمام حياتك للمسيح تأمن كل شرور ومخاطر الحياة . لا تقبل فى السفينة إلا كل من يختارهم ربان السفينة .

« كم هي ايام سنى حياتك » هل أنت فى الحادية والعشرين ؟ هذا هو سن الرشد الذى يكون فيه المرء فى غنى عن كل انسان . ولكن لا تنس انه يوجد على الاقل واحد لا يمكنك أن تكون فى غنى عنه . قد تمرد عليه وتذهب الى كورة بعيدة وتبذر مالاك

وماله في عيش مسرف ، ولكنك لا بد حائد اليه في النهاية . فيا أيها الابن الضال عد الى أبيك فإنه لن توجد راحة حقيقية ولا شبع ولا رى بعيداً عنه

« كم هي أيام سنى حياتك » . هل أنت في الثلاثين ؟ اعلم انه في هذا السن تقدم الرب يسوع الى خدمته العلنية ، وفي نفس الوقت أرجو أن تذكر ان الكثيرين من العطاء - في نواحي الحياة المختلفة - قد عاشوا حياة مليئة بخير الاعمال ثم ماتوا قبل ان يدركوا هذا السن . فماذا أنت فاعل في هذه الحياة ؟ تعال واسرع فان زهرة الحياة قريبة من الذبول . احذر لئلا تضطر ان تقول في نهاية الحياة « لقد افقت حياتي في الابطال التي لا تنفد »

ولكنك ان كنت تسلم حياتك للرب يسوع طالباً منه أن يعينك على اتمام مسرة مشيئته فلن تضطر لهذا القول

« كم هي أيام سنى حياتك » . هل أنت في الاربعين ؟ تيقظ ! فقلما استطاع المرء تغيير حياته في هذا السن الذي تبدأ فيه الحياة في الانحلال . ان كنت الآن لم تسلم الحياة للمسيح فان الفرصة تتضاءل كل اسبوع

« كم هي أيام سنى حياتك » هل انت في الخمسين او الستين او السبعين ؟ لقد بدأ المشيب يخط شعر رأسك ، وبدأت القوى تنحل ، وكل ما حولك يندرك بانك على ابواب وادي ظل الموت

بظلامه الدامس . فكيف انت مزرع ان تستقبله ؟ هل يستولى عليك الذعر والخوف من الآن ام انت واثق انك ستستقبله بشجاعة المطمئن كما فعل ذلك السجين قديماً الذي قال عندما حضر وقت انحلاله « جاهدت الجهاد الحسن ، اكملت السعى ، حفظت الايمان ، وأخيراً وضع لي اكليل البر » . أيها الشيوخ ! ان عيوننا تشخص اليكم اذ نحن نرجو أن تتعلم منكم كيف تنتظر نهاية الحياة وكيف نموت .

(٣) جواب يعقوب : « فقال يعقوب لفرعون . أيام سنى غربتى مئة وثلاثون سنة : قليلة وردية كانت أيام سنى حياتى ، ولم تبلغ الى أيام سنى حياة آبائى فى أيام غربتهم » تك ٤٧ : ٩ . كانت أيام سنى حياته « قليلة » بالنسبة لاعمار آبائه ، فان تارح عاش ٢٠٥ سنة ، وابراهيم ١٧٥ سنة ، واسحق ١٨٠ سنة ، أما كل ما عاشه يعقوب فقد بلغ ١٤٧ عاماً

ثم انها كانت « ردية » .. فانه فى شبابه نزع عن الاحضان الابوية وعن اصدقائه الاعزاء وأبعد عن وطنه المحبوب وذهب الى ارض غريبة لكي يقضى فيها اخر ايام الحياة . اما خدمته لخاله لابان فقد كانت مضيئة وشاقة احتمل فيها قيظ النهار وصقيع الليل . ثم انه لم يتخلص من لابان الا بشق النفس . ولم يلبث قليلاً حتى واجه خطراً امر ، فقد كان عليه ان يلتقى باخيه الذى كان يطلب نفسه

وفي مرارة نفسه التقي بالملك ليلا وصارعه حتى طلوع الفجر فخلع
حق نخذه وصار يجمع على حق نخذه حتى نهاية حياته . وفضلا عن
كل هذه المصائب فقد مرت عليه مصائب جمّة من الكنعانيين
أهل شكيم كانت كافية لتدمي فؤاده وتحز في قلبه .

ولما وصل الى لوز ماتت دبورة مرضعة رقيقة ودفنت هنالك
تحت بلوطة سميت بلوطة البكاء تك ٣٥ : ٨

ثم رحلوا من بيت إيل . ولما كان مسافة من الارض بعد
حتى يأتوا الى افراته ولدت راحيل (التي كان يحبها) وتعسرت
ولادتها وكان عند خروج نفسها لانها ماتت انها دعت
اسمه بن اوني « (اى ابن حزنى) تك ٣٥ : ١٦ - ١٨

بعد ذلك وصل الى ممرا حيث مات ابوه فزادته هذه الحادثة
حزنا على حزن

اما الآلام التي انهالت على رأسه بعد ذلك والتي سببها له
اولاده فسبق أن تأملنا فيها في الفصول السابقة فقد كان متيقنا لديه
ان وحشا رديا افترس ابنه يوسف افتراسا . ولا شك في ان فقد
ابنه يوسف كل تلك المدة الطويلة قد مزق نياط قلبه .

وحتى بعد التقائه بابنه يوسف الذى طال غيبته لم تخل حياته
من الهم والحزن ؛ فقد كان عليه ان يعيش طالة على ملك مصر

وظل على هذه الحال سبعة عشر عاماً . وهذه حال لا تتفق مع المواعيد التي اعطيت لأبائه بالبركة

هكذا كانت حياة يعقوب الخارجية . فقد كانت مليئة بالمناعب والمصائب من كل ناحية ، حتى أن المرء ليخيل اليه لأول وهلة أنها كانت حياة فاشلة . فان قارقتها بحياة عيسو تبين لك الفرق العظيم : لقد نال يعقوب البكورية ولكنه عاش طول حياته في حزن وكدر ، أما عيسو الذي فقد البكورية فقد نال كل ما تشتهي النفس — ثروة ، جلال ملكي ، بنون ناجحون أقوياء — هذه كانت نصيب نفسه . وفي الاصحاح السادس والثلاثين من سفر التكوين نرى قائمة باسماء سلالة التي كانت لها السيادة والسلطان . وربما يكون عيسو قد رثى لحال يعقوب أخيه في كثير من المواقف ولعل لسان حاله كان يقول « ان اخي المسكين يتبع الاوهام ويسير وراء السراب ، فهو كثير الرؤى والاحلام ، أما أنا فلماذا لا امتع نفسي بكل ما في العالم طالما بقي لي العالم . لنأكل ونشرب لاننا غداً نموت »

على ان يعقوب هذا عندما يقف امام فرعون نراه وهو اعظم ملوك العالم يعنى امام يعقوب ليلتمس منه البركة « وبارك يعقوب فرعون » تك ٤٧ : ١٠ صحيح ان يعقوب اشتهر في بدء حياته بالمكن والدس والخداع ؛ ولكن يظهر أنه قد تطهر من كل هذه الأدناس

عند ما جازت نفسه نيران المصائب والآلام ، ولذا فقد وصل
فى نهاية الحياة مصفى مزكى ، وصل الى سمو فى الاخلاق حتى
استطاع ان يمس قلب فرعون المتعجرف نفسه
لم يكن ممكناً ابدأ لعيسو أن يبارك فرعون ، أما ذلك الراعى
البسيط الذى قضى حياته غربياً على الارض متنقلاً من مكان الى
مكان فقد استطاع أن يفعل ما لم يكن ممكناً لاختيه ان يفعله
بثروته أو مكانته

لا شك فى ان الشخص الاصغر هو الذى يطلب البركة ممن
هو اسمى منه . فواضح اذاً أن يعقوب كان اعظم من فرعون
الذى هو اعظم ملوك الارض طراً . اذاً فهناك عظمة مستقلة كل
الاستقلال عن كل المظاهر الخارجية التى هى مقياس العظمة فى
نظر العالم . أن التاج لا يرفع شأن الملوك ، كما ان الثروة او المناصب
او الانساب لا تكسب العظمة للإنسان . كان يعقوب عظيماً حقاً ،
وقد لبس جلالاً ملكياً واستمد البراءة الملكية من الله . ألم يقل
له الله بنفسه « لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب بل اسرائيل
لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت » تك ٣٢ : ٢٨
كانت هنالك ثلاثة عوامل هى التى ألبت يعقوب جلالاً
ملكياً ، وهذا عين ما تفعله معنا نحن أيضاً :
(الأول) الصلاة . عندما كان ذاهباً نحو حاران رأى حلم

وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء ، وكانت هذه
السلم سر القوة في حياته لأنه منذ ذلك الحين حاش تحت اقدام هذا
السلم — سلم الصلاة التي كانت الملائكة تصعد عليها ترفع صلاته لله
وتنزل عليها حاملة له بركات الله . فليتك تتعلم كيف تصلى بلا
انقطاع . ان الصلاة هي سر العظمة الحقيقية لان من عرف كيف
يقضى الأوقات الطويلة في الغرفة الخاصة الملكية لبس جلالاً ملكياً
(الثنى) الآلام . كان يعقوب في بداية حياته أنانياً محباً لذاته
هائشاً حسب الجسد . ففي احدى المرات نراه ينتهز فرصة جوع
أخيه فيشتري منه البكورية ، ثم نراه يغش أباه ، ثم نراه يريد ثروته
على حساب خاله ، وهكذا نراه يتم مقاصده بوسائل خاطئة . ولكن
نيران الآلام قد التهمت كل هذه الاشواك وخلقت منه انساناً
جديداً . وهذا نفس ما تفعله ايضاً مع كل الذين قد فالوا الطبيعة
الجديدة ومع كل الذين يرغبون في ان يتعدوا مقاصد الله من هذه
الآلام . ان الخروف يجلس على العرش اليوم لانه سبق ان ذبح ،
وان العرش محجوز اليوم لكل من تعلم كيف يتألم معه وكيف
يموت معه .

(الثالث) الصلة مع المسيح . « وصارعه انسان حتى طلوع
الفجر » من كان هذا الانسان ؟ حقاً انه لا يمكن ان يكون الا
يهوه ، الذى لا يرى وجهه ولا يعرف اسمه . هو الرب نفسه

الذى كان ظهوره له اعلاناً سابقاً عن تجسده والذى قصد من كل ذلك تنقيته من كل ما لصق به من الادناس والشرور . لهذا فقد تغير اسمه من تلك الساعة الى « اسرائيل »

ايها القارئ العزيز . تأكد ان يسوع محب النفس يصارع معك رغبة منه في ان يخلصك من حياة الدنس والشر ومحبة الذات ويهبك حياة الكمال والمجد . فسلم له حياتك لئلا يخلع حق نفيك ويهدمك قوتك . ان كنت تسمح له ليعمل فيك عمل روحه القدوس جعلك ضمن الملوك بل جعل من هم اعلی منك درجة ورتبة في هذه الحياة يلتفون حولك لطلب البركات الروحية



الفصل الثاني عشر

يوسف بجانب أبيه على فراش الموت

(تك ٤٧ : ٢٧ - ٣١)

هذا ما فعله يسوع فهلا يستحق منا العبادة والخشوع
وهذا ما يفعله فهل نبقى بعد في حال اليأس والخنوع
اسرع وتعال لكي نلجأ اليه
ونطرح اثقالنا تحت قدميه
فاننا فيه نجد سداً لكل اعوازنا
سواء في الحياة أو في الموت ، في الحزن أو في الفرح
فانه هو النهاية لانه كان البداية
وهو البداية لانه ستكون اليه النهاية

بعد ما استقر يعقوب في مصر سكن ارض جاسان وفي هذه
الارض المخصصة نما اولاده ونمت ذريتهم ونمت ثروتهم فتكونت
تلك الامة العظيمة - بنو اسرائيل : « وسكن اسرائيل في ارض

مصر في أرض جاسان . وتملكوا فيها واثمروا وكثروا جداً .
ع ٢٧ وبعد أن استقروا في أرض جاسان مضى عليهم سبعة
عشر عاماً دون أن يستجد شيء من الحوادث الجسام . وفي هذه
المدة انتعش روح يعقوب بسبب ما أحاطه به ابنه من حب عميق
وبسبب ما رآه من حال العز والسؤدد والمجد التي رأى ابنه مغموراً
بها . وإذا كانت حياة يعقوب قد بدأت تنحل استدعى إليه ابنه
— موضع رجائه — لا مرة ولا اثنتين بل ثلاث مرات وهو على
فراش الموت . وشكون هذه الزيارات الثلاث موضوع تأملنا الآن .
إن الكتاب المقدس هو كتاب الحياة . فيه نستطيع أن نقرأ
عن حياة وأعمال الأبطال أكثر مما نقرأ عن موتهم . فبينما تجد
أسفاراً كاملة تتضمن تاريخ حياتهم لا تجد سوى أعداداً قليلة عن
موتهم وعن الكلمات القليلة التي تفوهوا بها عند الموت . لهذا فإن
رأيت وصفاً مفصلاً عن موت أحد الأبطال فلا بد أن يكون ذلك
لمداع خاص ليسترعى اهتمامنا والتفاتنا . وهذا ما نراه في وصف
موت يعقوب هنا :

(١) . زيارة يوسف الأولى . « ولما قربت أيام إسرائيل ان
يموت » ع ٢٩ نعم فهما طالت الحياة لا بد أن تكون لها نهاية .
ولا بد أن يموت إسرائيل .
على أن موته قد كشف النقاب لأولاده وذريته فاستطاعوا

أن يروا من وراء الستار حقيقة الحياة الخالدة وجمالها بعد أن كان ذلك مستوراً عن أعينهم . ونستطيع أن ندرك قليلاً مما جال في خاطر يوسف في كل زيارته لآبيه ووقوفه بجانبه وهو على فراش الموت .

يصرح لنا العهد الجديد في إحدى آياته البارزة أن المسيح « ابطل الموت وأثار الحياة والخلود بواسطة الانجيل » ٢ : ١ : ١٠ على أن هذا ليس معناه أن الانجيل قد عرفنا بما كان مجهولاً تمام الجهل من قبل . فقبل أن يجيء المسيح الى هذا العالم حاملاً مفاتيح القيامة والحياة كان رجال العهد القديم يعيشون على رجاء الحياة الأبدية ، وما كان الانجيل إلا مبدداً لكل السحب التي كانت تحجز الكثير من النور عن رجال العهد القديم .

ولسنا نجد صعوبة كبيرة في إقامة الدليل على صدق هذا القول . خذ انيال يعلمنا في صراحة عن حقيقة القيامة العامة وذهاب البعض الى الحياة الأبدية والبعض الى العار للآزدرء الأبدى (ص ١٢) . وسفر الجامعة ينتهم بحثه بذكر هذه الحقيقة الضريحة وهي رجوع الروح الى الله الذي أعطاها ثم حقيقة الدينونة العامة (ص ١٢) . وسفر أيوب — الذي يسميه البعض أنشودة الخلود — يتحدث إلينا في وضوح قائلاً « أما أنا فقد علمت أن وليي حي والآخر على الأرض يقوم . وبعد أن يفتي جلدى هذا وبدون جسدى أرى الله »

ص ٢٥:١٩ و ٢٦ أما سفر المزامير فأننا نرى فيه الأشارات العديدة التي تؤكد لنا أن أقتياء اليهود عاشوا على هذا الرجاء « لانك لن تترك نفسك في الهاوية . لن تدع تقيك يرى فساداً . تعرفني سبيل الحياة » مز ١٦: ١٠ و ١١

لهذا فقد كان هذا الرجاء — رجاء الحياة بعد القبر — هو سر حياة البطارقة الثلاثة الأولين الذين رقدوا معاً في مغارة المكفيلة . لانهم لماذا جالوا من هنا وهناك كغرباء في تلك الارض الغريبة — أرض الموعد ؟ لماذا ارتضوا أن لا يتالوا منها ميراثاً ولو موطئاً لقدم ؟ لماذا ارتضى ابراهيم أن يسكن في خيام مع اسحق ويعقوب بدل أن يسكن المدن مثل سدوم وعمورة ؟ وماذا كان يعنى ابراهيم عندما قال للحشيين « أنا غريب ونزيل عندكم » تك ٢٣ : ٤ وماذا كان يحول بخاطر يعقوب عندما وصف حياته وهو مائل أمام فرعون بأنها « غربة » ؟ ان الاجابة على كل هذه الاسئلة نجدها واضحة في قائمة الابطال المدونة في الاصحاح الحادى عشر من رسالة العبرانيين اذ يقول الرسول عنهم أنهم كانوا يطلبون وطناً أفضل . واذ كان هذا الاعتقاد يسودهم رفضوا أن يمتلكوا شيئاً من أرض الموعد سوى القبر الذى يضم رفاتهم لانهم كانوا ينتظرون ذلك الوطن الافضل
لا شك في أنهم في بداية الامر كانوا يعتقدون أن أرض

كنعان هي أرض الموعد . واذ كانوا يرقبونها سنة بعد سنة استنارت بصائرهم فاستطاعوا أن يبصروا تلك الأرض التي كانت ترمز إليها أرض كنعان التي تفيض لبناً وعسلاً والتي تفوقها بهجة ومجداً ، وبعد أن كانت عقولهم محصورة في المدينة صنع أيدي الناس استطاعوا أن يروا المدينة التي صانعها وبارئها الله ، والتي أعدها لكل الذين يحبونه ، واستطاعوا أن يدركوا أنها هي وطنهم وهي مدينتهم الحقيقية . ومما يؤيد صحة عقيدتهم هذه حياة الغربة التي عاشوها

وهذه العقيدة في « مدينة الله » التي كتب عنها القديس أوغسطينوس على سواحل افريقيا هي التي حفظت نفوس القديسين في هذه الحياة وهي التي جعلتهم ينظرون بإبتسامة الى ظلمة القبر « في الايمان مات هؤلاء اجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها (كما يرى الفئار من بعيد فينبىء عن مدينة بعيدة) وصدقوها وحيوها » كما يحيى الغريب وطنه اذ يبصره عن بُعد . ولا شك في أن هؤلاء الغرباء كانوا يتطلعون الى السماء بلهفة وحنين ورجاء أكيد . لهذا فقد لاق يعقوب أن يقول وهو على فراش موته « خلاصك انتظرت يارب » تك ٤٩ : ١٨ وهذا ما قد رفع المرارة من كأس الموت

ثم لاحظ أيضاً أن يعقوب لم يكن واقعاً فقط من الحياة

الأبدية بل كان أيضاً واثقاً من تمتعه هناك بعشرة زمرة القديسين الذين ينتظرونه . اسمعه يقول « أنا أنضم الى قومي » تك ٤٩ : ٢٩ وبقيناً أنه لم يقصد مجرد الدفن في قبرهم لأنه يذكر هذا في الكلمات التالية « ادفنوني في المغارة التي في حقل المكفيلة » نعم أنه قصد أن يقول انه ينتظره في تلك المدينة جماعة القديسين ، نفوس المختارين ، نفوس شعب الله الذين قد أرضوا الله في حياتهم .

في تلك المدينة تتجمع نفوس كل القديسين سنة بعد سنة ، وهم الآن في انتظارنا . ونحن إذ نخرج من هذا العالم لا نرجع في ظلمة القبر وسكونه ولكننا نضم الى قومنا ، أولئك الذين قد أحبيناهم ، فهم يرقبون مجيئنا اليهم بفارغ الصبر ، وعندما يتلقون واحداً يستقبلونه بترنيمة الظفر والتسبيح .

على أن يعقوب لم يستدع يوسف لمجرد رغبته في اعلان هذه الحقيقة اليه بل لانه كان يريد أيضاً أن يقطع معه عهداً ليدفنه في أرض كنعان . لقد ظل يعقوب في أرض مصر سبعة عشر عاماً محوطاً بكل مظاهر المجد والعظمة وألفت نفسه مناظر الهياكل والاهرامات والمسلات ، ولكن هذه جميعها لم تنسه تلك المغارة الساحقة التي فيها يرقد الآباء . ولا شك في أنه لم يكن ليتردد لحظة واحدة عن تفضيل تلك المغارة الحظيرة التي رقد

عجيبها الآباء على رجاء القيامة عن أن يدفن في أفضل اهرامات
مصر

ان الطبيعة البشرية لم تتغير الان عما كانت عليه في ذلك
الحين فان وطننا الحقيقي هو حيث توجد مقابر الآباء والأجداد
الاعزاء . لهذا فكم من الأبطال الذين عاشوا في أرض غريبة
أو صواباً أن لا يدفنوا إلا في أوطانهم مهما كانت وضعية . فان كان
يعقوب أبدى رغبته في أن لا يدفن إلا في أرض المكفيلة فقد
كان ذلك أمراً طبيعياً

على ان الامر لم يكن مجرد عواطف طبيعية . فقد كان يعقوب
رجلاً قوى الايمان ، كان قد عرف الوعد الذي وعد الله به ابا
ابراهيم ان يعطيه ارض كنعان ملكاً له ولنسله ، وصدق هذا
الوعد وحياء من بعيد ، وعرف ان ارض كنعان هي التي يجب ان
يستقر فيها شعب الله لا ارض مصر ، لانهم لا يمكن ان يستقروا
الى الابد في ارض مصر مهما كانت ارض جاسان خصبة او مهما
حسنّت معاملّة المصريين لهم ، وعرف انه لا بد ان يأتي اليوم الذي
فيه يضرب البوق للرحيل الى وطنهم . فكيف تسمح نفسه ان يترك
غريباً في ارض غريبة ويدفن في مصر . فان كان لا بد لهم من مغادرة
البلاد فليغادروا هو قبلهم ، وان كان لا بد لهم ان يستقروا في
ارض الموعد فليسبقهم هناك وينتظرهم . وان كان الرب لم يسمح

له بان يشار كهم فى متاعب واخطار واجداد الخروج فليتنظروهم
هناك لكي يستقبلهم وهم داخلون فى موكب النصر ليرثوا الارض .
« ان كنت قد وجدت نعمة فى عيذك فضع يدك تحت نخذى
واصنع معى معروفاً وأمانة . لا تدفنى فى مصر . بل اضطجع مع
آبائى . فتحملانى من مصر وتدفنى فى مقبرتهم » ع ٢٩ و ٣٠ و اى
ابن يستطيع ان يرفض هذا الطلب ؟ ابجراً احدنا على رفض
الطلبات الاخيرة التى يحملها لنا احباؤنا ؟ الهذا فلم يتردد يوسف
لحظة فى تلبية الطلب « فقال انا افعل بحسب قولك » على ان ذلك
الشيخ لم يتنقع بمجرد هذا الوعد بل قال له « احلف لى . فحلف له .
فسجد اسرائيل على رأس السرير » وهكذا انتهت زيارة يوسف
الاولى لاييه وهو على فراش الموت

(٢) زيارة يوسف الثانية . عندما وصلته الاخبار عن مرض
اييه رغب فى رؤيته ، فذهب اليه بلا ابطاء واخذ معه ابنه منسى
وافرايم تك ٤٨ : ١ ولا شك فى انه ظن اذ ذاك ان نهاية حياة
اييه قد دنت . وعندما وصل اليه وجده فى حال من الاعياء حتى
انه لم يكن ممكناً له تمييز الواقفين حوله . ولكن عندما « قيل له
هوذا ابنك يوسف قادم اليك » ع ٢ كان مجرد ذكر هذا الاسم
المحبوب كافياً لانعاش نفسه « فتشدد وجلس على السرير »
ومهما بلغت قواه الجسمانية من الضعف فان قواه العقلية لم

يخطر قلبها الوهن اذ نراه يتذكر الماضي بكل ما فيه . ويظهر أيضاً انه كان لا يزال جالساً تحت أقدام ذلك السلم الرمزي الذي كانت تصعد وتنزل عليه الملائكة ، والرب واقف في نهايته من أعلى يزيده تأكيداً بالبركة ويعدده بان يعطيه ونسله تلك الارض التي تغرب فيها الآباء على رجاء الميراث الأبدي ع ٣ و ٤ . ورغماً عن مرور الزمن الطويل فلم تكن الأيام بكافية لتنسيه ذلك الوعد ولو بلغ عمره ضعف سني حياة متوشالح . وهل لم يحقق الله هذا الوعد بل وأكثر منه ؟

وفضلاً عن أن ذاكرته قد حوت الماضي القديم فانه أيضاً لم ينس تاريخ عائلته الحديث . فانه لم ينس أب يوسف المائل أمام سريره الآن له ابنان ، ثم اعلن عن رغبته في اعتبار ابنه ضمن أولاده « والآن ابنك المولودان لك في أرض مصر قبلما أتيت اليك الى مصر هما لي . افرايم ومنسى كراويين وشمعون يكونان لي » ع ٥ . وبذلك امكن أن يكون ليوسف نصيب مضاعف في أرض كنعان ولو أن اسمه قد مسح من خريطة كنعان ولكن ولديه افرايم ومنسى كانا يمثلانه

وبعد أن قال يعقوب هذا حملته ذكرياته فجأة الى طريق يبتلى حيث توقف عن المسير بسبب تلك الفاجعة التي حلت به حينئذاك بموت راحيل التي كان قد أفرط في حبها . ويظهر انه لم

ينس قط ذلك المنظر ، ويظهر انه قد ارتسم في مخيلته الآن ذلك
المكان الذى دُفن فيه راحيل « في طريق أفراثة » ع ٧

وبعد ان عاد يعقوب من خياله الذى سبج فيه برهة كان اول
من وقع نظره عليه ابنا يوسف فسأل اباهما قائلاً :

« مَنْ هذان » ؟ ع ٨

فقال يوسف لايه « هما ابناى اللذان اعطانى الله ههنا » ع ٩
فقال يعقوب « قدمهما الىّ لباركهما »

فقدما اليه ثم « قبلهما واحتضنهما » ومرة اخرى سبج
يعقوب في خياله فتذكر الايام المربرة التى مرت عليه ولم يكن يفكر ان
يعود ويرى وجه ابنه . اما الآن فقد سمح الله - الذى يحفظ
نفوس عبده ويملاهم بالبركات - بان يريه نسله ايضاً .

وبروح النبوة صائب اسرائيل يديه ووضعهما على الفتيين اللذين
وقفا أمامه ملتسمين البركة ، فوضع يده اليمنى على رأس الصغير
واليسرى على الكبير ، وبذلك الوضع أعطى الافضلية للصغير على
الكبير مما هو مخالف للعرف والمألوف ومناقض لحقوق النبوة .
وعبثاً حاول يوسف ان يرد ابيه عن هذا الوضع المخالف . فان اباه
الشيخ كان واثقاً مما يفعله كما كان واثقاً من انه انما بذلك يتمم
ارادة الله . « علمت يا ابنى علمت . هو ايضاً يكون شعباً وهو ايضاً

يصير كبيراً. ولكن اخاه الصغير يكون اكبر منه . ونسله يكون
جمهوراً من الامم » ع ١٩

لم يكن للصدفة دخل في هذا المجال فانه يظهر أن افرام كانت
له بعض الصفات التي قدمته على أخيه. وفي العهد القديم نستطيع أن
نجد مجال الرجاء متسعاً لاصغر الأبناء ، فكل من يعقوب وموسى
وجدهون ودادود كان أصغر اخوته . ليس اسراً ذابال أن تولد في
الحياة ولك اسم أو شهرة أو ثروة ، ولكن الأمر الجوهرى هو
أن يضع الانسان اعتماده على ذراعه وعلى بركة التقدير . ان الله
لا يأخذ بالوجوه ، فهو يرفع الاصغر الى أعلى الصفوف إن وجد في
أخلاقه ما يؤهله لذلك ، وهو يضع الاكبر ويحطه الى أدنى الصفوف
أن تسفلت أخلاقه وانحطت صفاته . وهكذا يصبح الاولون
آخرين والآخرين أولين

واذ وضع اسرائيل يديه على الشابين نطق بكلمات عذبة
ولذيذة عن الملاك الذى خلصه من كل شر ، وما هذا الملاك إلا الرب
ف نفسه الذى « رماه منذ وجوده الى هذا اليوم » ع ١٥ و ١٦ ، هو
الاقنوم الثانى من الثالوث المقدس الذى قد وضع مسرته فى بنى
البشر والذى طالما ظهر فى صورة ملاك قبل أن يظهر فى صورة
إنسان

ونحن أيضاً لنا ملاك حارس هو الرب يسوع المسيح . فان

أردت الخلاص من كل شر ، وبنوع خاص من شر الخطية ،
فأترك نفسك تحت حمايته . وهو إن كان قد بدأ عمل الفداء قبل
التجسد والموت والقيامة بأجيال طويلة فكم يكون استعدادة الآن
لخلاص كل من يقبل إليه ، وهو الآن جالس عن يمين الله

والآن يامن تقلق وتهتم لخبرك اليومى ! تشجع ، واصنع الى
شهادة ذلك الشيخ فى نهاية حياته فانه يقول « الذى راعى منذ
وجودى الى هذا اليوم » فان كان الرب قد راعاه مئة وسبعة واربعين
عاماً فلا شك فى أنه لن ينساك فى سنى حياتك القليلة .

بقى من هذا الحديث موضوع واحد يستحق منا الاهتمام . منذ
سنوات طويلة كان أولاد يعقوب قد سلبوا له بعض المشاكل مع
سكان كنعان الاصليين ، الامر الذى اضطره — دفاعاً عن نفسه —
ان يحصل على قطعة ارض بسيفه وقوسه . والآن نراه يهب هذه
الارض لابنه المحبوب كنصيب إضافى ع ٢٢

فليت كل الشبان الذين يقرأون هذه السطور يتعلمون كيف
يرضون والديهم لكي يكونوا موضوع فخرهم فى حياتهم وموضوع
عزائهم عند وفاتهم ، ولكي ينعم الابناء بعد وفاة والديهم ببركاتهم
التي قد زودوهم بها حال الوفاة لان هذه أثمن من الذهب واللاآلىء
(٣) زيارة يوسف الثالثة والاخيرة . وفى هذه المرة الاخيرة
يقف يوسف مع باقى اخوته حول سرير أبيهم فى ساعاته الاخيرة

وعندما بدأ يناديهم كل باسمه كان قلب كل واحد يكاد ينخلع خوفاً . فقد كان يلخص أخلاقهم وصفاتهم وما في حياتهم في كلمات قصيرة ثم يلخص مستقبلهم أيضاً في كلمات ألا يرمز هذا المنظر للدينونة العامة التي فيها يسمع الجميع تاريخ حياتهم ثم يسمعون الحكم الذي لا راد له ؟ ؟

على ان ذلك الوالد عندما يحىء دور ابنه الحبيب يتكلم برقة تم عما يكنه له قلبه من حب عميق وتمنيات طيبة . وبعد ان نطق بيبضع كلمات أخرى لبنيامين نرى ذلك الشيخ الوقور « ضم رجله الى السرير وأسلم الروح وانضم الى قومه » على أن تلك الشخصية التي قد تثقلت في حياتها بالأكدار والهموم قد ارتفعت الى عالم آخر ، عالم المجد ، والشركة التي لا تنقطع لان الله الذي قال عن نفسه أنه « إله يعقوب » ليس إله أموات بل إله أحياء .

« فوقع يوسف على وجه أبيه وبكى عليه وقبله » تك ٥٠ : ١ وأمر الأطباء بتحنيط جثته كأنما أراد أن يخدع نفسه بالاعتصار على الموت م

الفصل الثالث عشر

يوسف في أيام الأسيرة

(تك : ٥٠ : ٢٤ و ٢٥)

« انا اموت . ولكن الله سيفتدكم . . . فتصعدون عظامي من هنا » هذه هي الكلمات التي نطق بها يوسف ساعة الموت . وهذه تذكرنا بما قاله عنه كاتب رسالة العبرانيين في ص ١١ : ٢٢ « بالايمان يوسف عند موته ذكر خروج بني اسرائيل واوصى من جهة عظامه »

والآن لنلاحظ :

(أولا) الظروف التي نطق فيها يوسف بهذه الكلمات .

١ — أما أولا فانه كان قد تقدم في الايام . فانه كان قد ساءخ من العمر مائة وعشر سنوات وهذه قد فتت في عضده واضعفت قواه . كان قد مضى عليه ٩٣ عاماً منذ القائه في الجُب ، وثمانون

عاماً منذ تبوئه منصبه الرفيع ، وستون عاماً منذ دفن ابيه في مغارة المكفيلة . لقد عاش طويلاً حتى رأى اولاد اولاده الذين ولدوا وتربوا على ركبتية تك ٥٠ : ٢٣ وحتماً لقد بارك الرب عبده الامين هذا بالمر الطويل والايام الكثيرة . والآن نراه وهو يرزح تحت عبء هذه السنين الطوال ينحدر الى الهاوية في طريق الارض كلها .

٢ — اما المظاهر الخارجية التي احتاطت به عند سرير موته فقد كانت اقل مما شهده في آبائه . فانه لما مات ابوه خرجت البلاد وراءه وظهرت بمظاهر الاجلال والاحترام لانه انجب لها يوسف الذى خلصها من موت محقق ، ولكن لما مات يوسف يظهر انه لم تعن به البلاد العناية الواجبة ويظهر انه رأى عن بعد شبح الظلام يخيم على حياة شعبه المحبوب ، ونراه وقد التف اخوته حوله يخاطبهم بلهجة العطف والاشفاق وكأن لسان حاله يناديهم : لقد بذلت كل ما فى وسعى من اجلكم ، ولكننى ساموت ، ورغماً من كل ذلك سيرسل لكم الرب من يخلفنى ويعمل لكم اعمالاً اعظم منى .

منذ نحو ثلاثمائة عام رأى مؤسس هذا الشعب رؤية اذ كان يقضى طول نهار احد الايام بجانب المذبح . وتتضمن تلك الرؤية فى انه رأى شعبه قد سبى الى ارض غريبة حيث يقضى ايامه فى ذل

العبودية . وبينما هو يتأمل في مرارة هذه العبودية اذ بسحابة مظلمة تكسنته فقسود نفسه هزة من الذعر والرعب (تك ١٥)

ونحن نعرف كيف تحققت هذه الرؤية تماماً بعد يوسف بزمان وجيز فسرعان ما نقرأ هذه الكلمات « فاستعبد المصريون بني اسرائيل بعنف ومراروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين والابن وفي كل عمل في الحقل . كل عملهم الذى عملوه بواسطتهم عنفاً » خر ١ : ١٣ و ١٤ . ويظهر أن شبح هذه العبودية التى كانت على الابواب كان جائئاً أمام يوسف .

ونحن لا ندرى تماماً كيف كان شبح تلك العبودية ماثلاً أمام يوسف ، فلعله كان قد أقصى عن البلاط الفرعونى ، أو لعله كان قد اتزوى فى احدى زوايا النسيان ، أو لعل صوت التذمر ضد شعبه كان قد ابتدأ يرتفع ، أو لعل المظالم كانت قد بدأت تنهال على شعبه حتى أنه لم يستطع أن يوقفها عند حدها . ومهما كان الامر فان ظلام هذا الليل البهيم كان قد بدأ ينتشر فى سماء ذلك الشعب . وتحت هذه الظروف فاه يوسف بكلماته السابقة

٣ — وفضلاً عن ذلك فقد كان اخوته حوله . لقد دامت محبته لهم وصفحه عن اساءاتهم اليه حتى ساعة الموت . ومما سبق فى هذا الاصحاح نستنتج أنهم كانوا يشكون فى اخلاصه

ومحبته لهم وأنهم كانوا يتوهمون بأن بقاء أبيهم على قيد الحياة هو
الذي عاقبه عن الانتقام لنفسه منهم ، ولهذا فحالما مات أبوهم ملأ
الخوف قلوبهم لاعتقادهم بأن الحق الدكامن في قلبه سينفجر الآن
ويشتعل غضبه عليهم ، لذلك نراهم يقولون « لعل يوسف يضطهدنا
ويرد علينا جميع الشر الذي صنعنا به » تك ١٥ : ٥٠ ولكن
يوسف لم يكذب بسمع هذه الكلمات حتى بكى ، بكى لانهم أساءوا
الظن به بعد أن أكد لهم محبته مراراً ، بكى لانه رآهم يجثون عند
قدميه لطاب الصنح الذي كان قد خاضه عليهم منذ سنوات طويلة .
وبعد ذلك قال لهم بتأثر شديد « لا تخافوا ، لانه هل أنا مكان
الله . أنتم قصدتم لى شراً ، أما الله فقصد به خيراً لكي يفعل كما
اليوم . ليحيي شعباً كثيراً » تك ١٩ : ٥٠ و ٢٠

لقد كان الصفح عن اساءات هؤلاء الاخوة عجباً حقاً لانه
لم يكن من هذا العالم . فقد كان قلب يوسف عامراً بمحبة الرب
يسوع الذي يضيء لكل إنسان آت إلى العالم ولو لم ينطق لسانه
بذكره ، وقد كان سلوكه رمزاً لمحبة الفادي

أيها القارئ العزيز ! أنه مستعد للصفح عنك هكذا . فان
كنت قد تمرتد عليه ورفضته واصلته لنفسك ثانياً وسببت له
الخرى والعار ، ولكنه رغماً عن كل ذلك مستعد أن يمنحك الصفح

الكامل فلا يعود يذكر شيئاً من تعديباتك فيما بعد قطعياً . ألا يستحق الرب منك كل حمد وشكر من أجل هذا الصفح المجاني الكامل . ثم لاحظ بانه إن غفر لك احدى الخطايا فإذن لا تحتاج لتسأله الصفح عنها ثانية كما فعل اخوة يوسف هنا .

ذكر عن محبة الرب يسوع أنه اذ أحب خاصته أحبهم الى المنتهى يو ١٣ : ١ فان كان قد أحب الى المنتهى فانه يخلص الى المنتهى . هكذا أحب يوسف أيضاً ، فاننا نحن الذين نعيش الآن في نور الانجيل الكامل نعجب من تلك المحبة التي قاضت من قلب يوسف الذي لم ير شيئاً من نور الانجيل . فليتنا نحب وليتنا فصصح كما فعل يوسف . ان ذلك ممكن بل يسير جداً تحت شرط واحد - هو أن نفتتح قلوبنا لسكنى ذاك الذي قبل تجسده بأعوام طويلة وجد مقاماً في قلب ذلك الرجل السياسى العظيم

٤ - وأخيراً أنه كان على فراش الموت . لقد استطاع أن يرد الموت عن كل أرض مصر ولكنه الآن لم يستطع أن يرده عن نفسه . « أنا أموت » هذه هى الكلمات التى انسابت على فم والده حال موته تك ٤٨ : ٢١ وهو هنا يطبقها على نفسه ، وبذلك يوضح ثقتة الكاملة فى إلهه ، ورجاءه التام فى الحياة الابدية . لعل أحسن برهان على حياة الخلود هو هذا : ان كان الجسد كلما ازداد ضعفاً

وأنحلالاً ازداد احساسنا ورجاؤنا بالحياة الابدية فلا بد أن
يكون فينا شيء آخر خلاف اللحم والدم

تحت كل هذه الظروف قال يوسف « الله سيفتقدكم
فتصعدون عظامي من هنا »

(ثانياً) والآن لنأمل في أهمية هذه الكلمات . ويحسن بنا
أن نقارنها بما قاله يعقوب قبيل موته « أدفنوني عند آبائي . . .
في المغارة التي في حقل المكفيلة » تك ٤٩ : ٢٩ وهذا أمر
طبيعي إذ يجب المرء أن يدفن بجوار أحبائه . كان يعقوب يعلم
بأن تنفيذ رغبته هذه أمر يسير جداً لا يكلف كبير عناء إذ كان
يوسف في أوج عزه ومجده . فان كان قد طلب أمراً سهلاً المنال
فلم يكن في حاجة الى قوة الايمان . أما يوسف فقد كان الأمر معه
على العكس من ذلك . صحيح أنه رغب في أن يدفن في أرض
كنعان ولكنه لم يطلب تنفيذ هذه الوصية حالا . لقد كان يتوقع
حدوث أمرين : الأول انه لا بد أن يتم الخروج من أرض
مصر والثاني أنهم لا بد أن يستقروا في أرض كنعان .
أنه لم يكن يعلم كيفية أو زمن الخروج ولكنه كان متأكداً
منه .

لقد كانت كل المظاهر الخارجية تدل على أن تحقيق هذين
الأمرين يكاد يكون مستحيلاً . فانه عندما فُطِق بهذا

الكلام كان بنو اسرائيل مستقرين في أرض جاسان وكانوا كل يوم يزدادون في العدد والثروة حتى أصبح من العسير خروجهم . أما من جهة المظالم التي كانت قد بدأت نيرانها تشتعل فكيف كان يتاح لبني اسرائيل أن يهربوا منها وقد بلغت قوات المصريين الحرية شأواً عظيماً . لهذا فقد كان تنبؤ يوسف عن المستقبل مبنياً لا على نظراته البشرية بل على اعلانات القدير له . ولا شك في انه تذكر وعد الله لابراهيم إذ وقف على الجبل « ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً . لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك الى الأبد » تك ١٣ : ١٤ و ١٥ كما تذكر أن هذا الوعد قد تكرر لاسحق أيضاً « تغرب في هذه الأرض ... لأنني لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد وأنى بالقسم الذي أقسمت لابراهيم أليك » تك ٢٦ : ٣ وقد تكرر هذا الوعد أيضاً ليعقوب إذ كان مضطجعا تحت أقدام السلم « الأرض التي مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك » تك ٢٨ : ١٣

كل هذه المواعيد احتفظ بها الآباء وتسلمها الخلف عن السلف ككنوز ثمينة . فيعقوب أكد ليوسف عند موته أن الرب سيبيدهم الى أرض آبائه ، ويوسف بدوره يؤكد هذه الحقيقة لآخوته الذين قد التفؤا حوله . لقد كانت تلك الكلمة

التي دوت قديماً في أذني ابراهيم منذ مائتي عام « وفي الجيل الرابع يرجعون الى ههنا » تك ١٥ : ١٦ يرن صداها في آذان كل ذريته .
لم يكن يوسف يعلم كيف يتمم الله هذا الوعد ولكنه كان يكفيه جداً أن يعلم بأنهم سوف « يرجعون الى ههنا » . لهذا فقد أمر ان لا تدفن عظامه بل تكون مستعدة في أى وقت لتحمل الى أرض كنعان عندما يطلق صوت النداء للخروج من أرض مصر .

ويا لها من دروس نافعة قد تلقنها بنو اسرائيل من هذه العظام التي لم تدفن . فكلمة كان رؤسائهم المصريون يشدون الخناق على أعناقهم ويقسون في معاملتهم كانوا يجدون راحة وتعزية إذ يهرعون الى تلك العظام الباقية في تابوتها منتظرة حتى تحمل الى أرض الموعد والراحة ، وكان لسان حالهم يقول في كل مرة : « لقد أكد لنا يوسف اننا لا نبقى هنا الى الابد ولكننا لا بد راحلون الى كنعان ان عاجلاً أو آجلاً فليتحمل ما نلاقيه بالصبر ولعل الفرج آتٍ عاجلاً » .

وكما كان احدهم تغويه المظاهر الخارجية ويقنع بالثوم والبصل والكرات — التي اشتهرت بها ارض مصر — كان يجد في هذه العظام عظات بالغات « ان كنا سوف لا نبقى هنا الى الابد فيجب ان لا نبني كل آمالنا على هذه المظاهر الخادعة الزائلة »

وكم من مرة عندما دب اليأس في نفوس الشعب أثناء ارتحالهم
في الصحراء تطلعو الى هذه العظام فوجدوها منشطة لعزائهم اذ
تذكروا ثقة يوسف الكاملة في إلهه بأنه لا بد آت بهم الى ارض
الراحة .

ونحن وان لم تكن لنا عظام تبعث الامل فينا وتعيد الرجاء
الينا ، الا اننا لدينا ما هو افضل - لدينا قبر فارغ . عندما مات
يوحنا المعمدان تشتت تلاميذه ، ولكن عندما مات المسيح لم
يرتبط تلاميذه معاً برابطة اقوى فقط بل نهضوا الى قوة اعظم .
وان ما فعله هذا القبر الفارغ من التغير في حياة التلاميذ يفعله
في حياتنا نحن ايضاً . فهذا القبر يحدثنا بان الرب قد قام من بين
الاموات ، يحدثنا بان نصيبنا بعد ارتحالنا من هذه الحياة هو الحياة
لا الموت ، يحدثنا بان هذا العالم ليس هو مقامنا او وطننا بل يجب ان
نطلب وطناً في السماء حيث المسيح جالس عن يمين الله ، يحدثنا
بان القيامة ليست ممكنة فقط بل ثابتة واكيدة ، وبأنه حيث يكون
هو سنكون نحن ايضاً . يحدثنا باننا طالما كنا سائرين في الطريق
والحق والحياة فهو لنا الرفيق الازق من الاخ ، يمسكنا يميننا حتى
نصل اليه ونكون معه بعد اذ نكون قد عبرنا وادي ظل الموت .

(ثالثاً) وأخيراً لنأمل في الروح الباعث لهذه الكلمات . كان
هذا الروح فوق كل شيء يسوده الشعور بالغربة . كان يوسف قد

أعطى لقباً مصرياً وتزوج بامرأة مصرية واشترك بل امتزج في الحياة المصرية بكافة نواحيها السياسية والتجارية والاجتماعية . ولكنه كان واثقاً من انه أعما هو غريب كإبراهيم واسحق ويعقوب الذين سكنوا الخيام من قبل . لقد شغل منصبه في البلاط الفرعوني بمنتهى الكفاءة والمقدرة ولكنه عند الموت تنساب من شفثيه هذه الكلمات التي تنم على انه لم يكن قانعاً بهذه الحياة أو المظاهر التي ألفها بل كان قلبه متملقاً بوطن آخر . ورغمما عن انه كان محاطاً بكل مظاهر تلك المدنية القديمة ويعيش وسط الهياكل الثابتة والاهرامات الراسخة التي تدل على الثبات والاستقرار الا انه في هذه الكلمات يعترف بانه ليست له في هذا العالم مدينة ثابتة بل كان يطلب وطناً أفضل في العالم الآخر .

ألا يليق بنا عندما تتعلق قلوبنا بأباطيل هذه الحياة كأنها دائماً الوجود أن نذكر يوسف وكيف كان يتمثل دواماً بأولئك الذين
« اقرؤا بانهم غرباء ونزلاء على الارض » عب ١١ : ١٣

ايها الاخوة الاعزاء ! ما هي غابتنا في هذه الحياة ؟ هل نحن فتنع بنصيبنا في هذا العالم الضيق وأوقاته المحدودة ؟ هل نحن نعيش مجرد الاستمتاع بأباطيل هذه الحياة ؟ أليست هذه هي غاية الاغلبية السالسا حقة ممن دُعي عليهم اسم المسيح ؟ ان كان الامر كذلك فانه من العيب أن ندعى بان لنا صلة بجمهور الغرباء والنزلاء الذين

عاشوا ولا يزالون يعيشون وهم لا ينظرون الا لتلك المدينة الباقية
والوطن الافضل . أم نحن نعيش كما عاش يوسف الذى كان قلبه
لا يتعلق بالأمور التى ترى ، التى تزحم طول يومه وتستنفد كل
مجهوده ، بل بالأمور الابدية التى لا ترى

وهذا الروح — روح الشعوب بالغربة — لا يجعلنا نظربين
بل عمليين فى الحياة . فمن ذا الذى كان عملياً كيوسف فى زمانه ؟
من هو جدير بأن يكون نشيطاً ودقيقاً الا ذاك الذى يعلم بأنه انما
يعمل للأبدية وانه انما يبنى يوماً فيوماً حياته الابدية التى سيحيها
فيما بعد . فنحن فى كل يوم نزيد بناء حياتنا إما للشر أو للخير ،
وكل عمل نتممه — خيراً كان أم شراً — ان هو الا حجر فى
البناء ، وكل دقيقة نقضيها تدل على الابدية . وبالاجمال فكل منا
سينال الجزاء حسب عمله .

...

ياله من فرق شاسع بين الكلمات الافتتاحية والكلمات الختامية
فى سفر التكوين . ففي الكلمات الافتتاحية نقرأ « فى البدء خلق
الله » وفى الختامية نقرأ « ووضع فى تابوت فى مصر » . وهل
تتهى كل اعمال الله الى « تابوت » ؟ كلا ! فانما هذه هى خاتمة
سفر التكوين فقط . قاب الصحائف بعد ذلك تجد سفر الخروج ثم

يشوع والملوك والانبياء ثم المسيح . ان عمل الله لا يتوقف على
الانسان البشرى الضعيف . فنحن انما نتمم عملنا ونكف ، اما عمل
الله فيستمر الى الابد وهيكله ينمو من جيل الى جيل . وبكفى ان
يعيش كل منا كيوسف طاهرة امينة قوية نبيلة ونترك له هو ان
يهتم باجسادنا ، واحبائنا الذين نتركهم بعد الرحيل ، واعمالنا ، وهو
لا يمكن ان يتخلى عن اى شىء . » واخذ موسى عظام يوسف معه «
فى ليلة الخروج خر ١٣ : ١٩ » وعظام يوسف دفنوها فى
شكيم . فصارت لبني يوسف ملكا « يش ٢٤ : ٣٢

﴿ انتهى والحمد لله أولا وآخرآ ﴾



فهرس الكتاب

صفحة

المقدمة

يوسف فى ايامه الاولى	الفصل الاول	٩
يوسف فى الحب	الفصل الثانى	١٥
فى بيت فوطيفار	الفصل الثالث	٢٤
سر الطهارة	الفصل الرابع	٣٨
فى اعماق السجن	الفصل الخامس	٤١
من السجن الى العرش	الفصل السادس	٥٨
حديث يوسف الاول مع اخوته	الفصل السابع	٧٤
حديث يوسف الثانى مع اخوته	الفصل الثامن	٨٨
يوسف يعرف نفسه لاختوته	الفصل التاسع	١٠١
خدمة يوسف فى مصر	الفصل العاشر	١١٥
والد يوسف	الفصل الحادى عشر	١٢٧
يوسف بجانب ابيه على فراش الموت	الفصل الثانى عشر	١٤١
يوسف فى ايامه الاخيرة	الفصل الثالث عشر	١٥٤

مكتبة جمعية المحبة القبطية الأرثوذكسية بشارع سمعان بشبرا مصر

تقدم الجمعية وافر شكرها لئله القدير الذى أعانها بنعمته حتى
تمكننت فى فترة وجيزة من نشر الكتب الموضحة بعد وتشكر
حضرات القيورين الذين شجعوها بتعزيدهم وتطلب اليه تعالى أن
يستخدم هذه المجهودات لمجد اسمه وخير كنيسته وخلص النفوس.

كتاب أسرار البكنيسة السبعة

- » مريم العذراء
- » طريق السماء
- » يسوع المصلوب
- » تأملات روحية
- » أجبية السبع صلوات
- » اخولاجى المقدس
- » تاريخ أنبا برسوم العريان
- » سيرة الشهيذة دميانة

كتاب تراجم ومدائح منتخبة

» العبد المملوك

» التثليث والتوحيد

» عزاء المؤمنين

» حياة يوسف

» اعجوبة نقل جبل المقطم وحياة الانبا ابرآم وسمعان الدباغ

» المرشد الامين في تعليم لغة المصريين

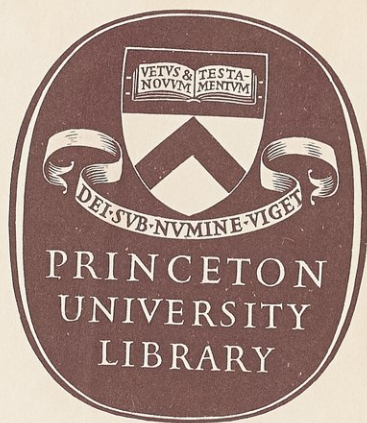
رواية مريم المجدلية

١٣ صنف من المدائح والقصص المختلفة

دروس مدارس الاحد القبطية الارثوذكسية







Princeton University Library



32101 058186733